سوريتنا

www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

السنة الثالثة | العدد (146) | 6 تموز 2014

الآن.. هنا..
حكايات في زمن الخلافة

الصحفي محمد عمر الخطيب
شهيداً تحت التعذيب

نساء سوريا ضحايا الاعتقال والتعذيب والتضييق
من طرفي النظام والمعارضة

داريا الخالية من الغرباء
الوجه الحقيقي للثورة

المواطنة والإعلام

رسالة فيسبوك لم تصل

قراءة في كتاب حازم صاغية، نواصب وروافض
منازعات السنّة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم

من الاستعراض العسكري الذي أقامه تنظيم الدولة الإسلامية
في الرقة إثر إعلان دولة الخلافة

5.5 مليون طفل متأثرا بالحرب الدائرة فيها
سورية تصنف من أكثر الدول خطورة على الأطفال

■ ملف الإخبار من إعداد: زليخة سالم

جاءت سورية من بين الدول الأكثر خطورة على الأطفال نتيجة التدهور الأمني، والحرب الدائرة فيها، وقمع النظام للمعارضة، وفق تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» الصادر حول الأطفال في النزاعات المسلحة في عام 2013

وجاء في التقرير إنه بعد ثلاث سنوات من الحرب فإن سورية تعد الآن أحد أخطر المناطق في العالم بالنسبة للأطفال، حيث فقد آلاف الأطفال حياتهم وأطرافهم إلى جانب كل أوجه طفولتهم بالفعل، كما فقدوا فصولهم الدراسية ومدرسيهم وأشقاءهم وشقيقاتهم وأصدقاءهم ومن يقدمون لهم الرعاية ومنازلهم واستقرارهم، وبدلا من التعلم واللعب اضطر كثيرون منهم للذهاب للعمل أو يجري تجنيدهم للقتال.

وحدد التقرير 23 وضعًا «مثيرًا للقلق» في عام 2013 مع 59 جهة، بينها ثماني حكومات و51 جهة غير حكومية «ارتكبت انتهاكات خطيرة ضد أطفال كالتجنيد والقتل والاعتداء الجنسي.

وقالت ليلى زروقي ممثل الأمم المتحدة الخاص لشؤون الأطفال والنزاعات المسلحة في بيان لها الثلاثاء: أن بلدان مثل سورية والعراق وجمهورية إفريقيا الوسطى وجنوب السودان «اعتبرت من بين أكثر البلدان خطورة على حياة الأطفال في عام 2013، محذرة من تدهور الوضع الأمني في سورية والعراق، و«التجنيد المستمر للصغار» في نزاعات أخرى.

وكشفت (اليونيسيف) في تقريرها إن عدد الأطفال الذين أثرت عليهم الحرب في سورية زاد أكثر من الضعفين خلال العام الأخير، مع تقطع السبل بمئات الآلاف من السوريين الصغار في المناطق المحاصرة، وإن معدل الضحايا من الأطفال سجل أعلى معدل في أي صراع وقع في المنطقة في الآونة الأخيرة.

وتوقع التقرير أن العدد الحقيقي للأطفال الذي قتلوا في الحرب السورية أعلى من إحصاءات الأمم المتحدة التي قدرته بما لا يقل عن عشرة آلاف طفل موضحاً أن الأخطار بالنسبة للأطفال تتعدى الموت والإصابة، بعد أن تم تجنيد أطفال صغار في سن 12 عاما لدعم القتال بعضهم في معارك فعلية وآخرون للعمل كمرشدين أو حراس أو مهربي سلاح.»

وأكدت اليونيسيف في تقريرها إن مليوني طفل بحاجة لشكل ما من الدعم أو العلاج النفسي في حين أن الحرب أثرت على 5.5 مليون طفل في المجمل بعضهم داخل سورية، وآخرون يعيشون كلاجئين في الخارج، وهذا يزيد مرتين عن عدد الأطفال الذين أثرت عليهم الحرب في آذار 2013 حيث قدرت اليونيسيف حينها أن الحرب أثرت على 2.3 مليون طفل سوري، وارتفع عدد الأطفال النازحين داخل سورية إلى نحو ثلاثة ملايين بعد أن كان 920 ألفا قبل عام، وارتفع عدد الأطفال اللاجئين إلى 1.2 مليون من 260 ألفا منذ العام الماضي منهم 425 ألفا تقل أعمارهم عن خمس سنوات.

وقال التقرير إن»التراجع في حصول الأطفال السوريين على التعليم مذهل حيث أصبح نحو ثلاثة ملايين طفل في سورية والدول المجاورة اليوم غير قادرين على الذهاب للمدارس بشكل منتظم، وهذا يمثل نحو نصف عدد من هم في سن الدراسة في سورية، إضافة إلى وجود 323 ألف طفل تحت سن الخامسة في المناطق المحاصرة أو المناطق التي يصعب على موظفي الإغاثة الإنسانية الوصول إليها.

وأوضحت اليونيسيف في تقريرها أن الأطفال السوريين يجبرون على أن يكبروا قبل سنهم بالمقارنة مع الأطفال الآخرين، حيث يعمل الآن طفل من بين كل عشرة أطفال لاجئين سوريين، في حين تجبر واحدة من بين كل خمس فتيات سوريات في الأردن على الزواج المبكر.

وقال أنطوني ليك مدير اليونيسيف «لابد من انتهاء هذه الحرب حتى يتمكن الأطفال من العودة لديارهم، ولإعادة بناء حياتهم بأمان مع عائلاتهم وأصدقائهم. «هذا العام الثالث المدمر بالنسبة للأطفال السوريين يجب أن يكون الأخير.

الصحفي محمد عمر الخطيب شهيداً تحت التعذيب

استشهد الصحفي "محمد عمر حامد الخطيب" ابن مدينة المعضمية تحت التعذيب في سجن صيدنايا بعد اعتقال دام أكثر من سنتين، وسلمت هويته دون جثمانه إلى ذويه السبت قبل الماضي.

الشهيد "محمد الخطيب" 34 عاماً، خريج قسم الإعلام بجامعة دمشق، وكان يعمل بعدد من الصحف السورية، اعتقل بتاريخ 8/ 1 / 2012 بعد مطاردته، وإصابته بعدة طلقات، وذلك على اثر زيارة فريق البعثة العربية التي كان يرأسها الجنرال السوداني محمد الدابي وشرحه للبعثة عن الانتهاكات التي تقوم بها قوات الأسد من دهم واعتقال وقصف همجي على مدينة المعضمية، وتلقى أبشع أنواع التعذيب في مطار المزة العسكري، وتنقل بين العديد من أفرع التعذيب قبل نقله إلى سجن صيدنايا بتهمة الإرهاب، وحسب بعض المصادر فإنه استشهد قبل شهر ونصف.

منظمات دولية تطالب بالإفراج عن 133 صبياً كردياً أخذتهم داعش كرهائن في شمال سورية

طالبت هيومن رايتس ووتش جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) بالإفراج الفوري عن حوالي 133 صبياً كردياً تتراوح أعمارهم بين 13، 14 عاماً أخذتهم كرهائن من بلدة عين العرب (أو كوباني بالكردية) ذات الأغلبية الكردية في 29 أيار الماضي بينما كانوا عائدين من تأدية امتحانات آخر العام بمدينة حلب، لمبادلتهم بأسراها الموجودين لدى الجناح المسلح لحزب الاتحاد الديمقراطي.

وقال فريد آبراهامز المستشار الخاص لـ هيومن رايتس ووتش: "اختطفت داعش هؤلاء الأطفال أثناء عودتهم من تأدية امتحان، ويتسم احتجازهم كرهائن بالقسوة، وبمخالفة قوانين الحرب في نفس الوقت، "إن اختطافهم يذكرنا بالثمن الفادح الذي يدفعه أطفال سورية، وبأن انتهاكات داعش لا تقتصر على العراق.

وأوضح بعض الصبية الفارين لوسائل إعلام مختلفة إن داعش ترغم الأطفال على تلقي دروس في الشريعة والأيديولوجية الجهادية، وإنها تضرب الأطفال الذين يسيئون التصرف، وإنها توقظ المجموعة في الصباح المبكر كل يوم للصلاة ثم حضور دروس في الشريعة، وفي الليل يلقنهم مقاتلو داعش أيديولوجية الجهاد المتطرفة ويعرضون على الأطفال مقاطع فيديو عنيفة لتفجيرات انتحارية وعمليات إعدام ميدانية، ومقاطع فيديو عنيفة من العراق تبين "أشخاصاً يُذبحون"

وقال حسين محمد علي مسؤول تعليمي في عين العرب، لـ هيومن رايتس ووتش إن ما لا يقل عن ألف طالب، تتراوح أعمارهم بين 13 و18 عاماً، سافروا إلى حلب بالحافلات وعربات الميني باص، إضافة إلى بعض المعلمين، وسمحت داعش للقافلة بالمضي إلى حلب، لكنها استوقفت أول مجموعة عائدة، البالغة

أحد مقرات دولة العراق والشام في الرقة

أعمار أفرادها 13 و14 عاماً من الصف الثالث الإعدادي، في بلدة منبج الخاضعة لسيطرة داعش، وقام مقاتلوها بفصل الصبية عن الفتيات وأعادوا الفتيات مع السائقين، وأرغم 153 من صبية الصف الثالث الإعدادي على البقاء في منبج.

وقد وثقت هيومن رايتس ووتش مؤخراً قيام داعش بتجنيد أطفال للقتال مع البالغين، ومطالبة الأطفال بالمشاركة في تفجيرات انتحارية، رغم أن حقيقة حدوث هذا لم تتضح في هذه الحالة.

بدورها أصدرت منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف " بيانا طالبت فيه بالإفراج الفوري والآمن عن الأطفال المختطفين في شمال سورية، وأعربت عن قلقها الشديد من استمرار حجز 140 طفلا من تلاميذ المدارس الكردية الذين تتراوح أعمارهم بين 14 و16 سنة، موضحة أن جميع الأطفال مازالوا في الأسر، باستثناء 4 أطفال قد هربوا.

وقالت ماريا كاليفيس المديرة الإقليمية لليونيسيف في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا "لقد مر على اختطاف الأطفال 4 أسابيع أثناء عودتهم إلى بلدتهم عين العرب بعد أن إكمال الامتحانات النهائية الثانوية في حلب، وهؤلاء الأطفال ليس علاقة لهم بالحرب في سورية. إنهم يريدون فقط إنهاء امتحاناتهم والعودة إلى أسرهم، مؤكدة أن اختطاف وتجنيد واستخدام الأطفال في الأعمال الحربية هي انتهاكات الجسيمة لحقوق الطفل.

ودعت اليونيسيف في بيانها إلى محاسبة أولئك الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم، وقالت: من المؤسف وغير المعقول أن يتحمل الأطفال أعمال العنف الوحشية هذه وجرهم للمشاركة في هذه الحرب.

الجماعات المتطرفة في سورية تستخدم الأطفال في القتال بالمعارك وتجندهم من خلال حملات تعليمية

وثق تقرير صادر عن هيومن رايتس ووتش استخدام الجماعات المسلحة في سورية أطفالاً تصل أعمار أصغرهم إلى 15 عاماً في القتال بالمعارك، وأحياناً قامت بتجنيدهم تحت غطاء تقديم التعليم لهم، واستخدمت أطفالاً تصل أعمار أصغرهم إلى 14 عاماً في أدوار داعمة.

وأكدت المنظمة في تقرير لها أصدرته مؤخرا ونشر على صفحتها بعنوان "قد نعيش وقد نموت: تجنيد الأطفال في سورية واستخدامهم من قبل الجماعات المسلحة في سورية" أن الجماعات الإسلامية المتطرفة، ومنها الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) قامت بتجنيد الأطفال تحديداً من خلال حملات تعليمية اشتملت على التدريب على الأسلحة، وكلفتهم بمهام خطرة، منها عمليات تفجير انتحارية.

التقرير الذي صدر في 31 صفحة تجربة 25 طفلاً وجنود أطفال سابقين في الأعمال المسلحة، من مقابلتها الأطفال الذين قاتلوا في صفوف الجيش السوري الحر وفي الجبهة الإسلامية، وفي جماعات متطرفة مثل داعش وجبهة النصرة، والأخيرة تنتمي لتنظيم القاعدة، وكذلك في قوات الجيش والشرطة بالمناطق الخاضعة للسيطرة الكردية.

وأوضحت أن التقرير لأسباب لوجستية وأمنية لا يتناول جميع الجماعات المسلحة التي توجد مزاعم باستخدامها الأطفال في سورية، لا سيما الميليشيات الموالية للحكومة، مؤكدة أن استخدام الأطفال في النزاع المسلح يخرق القانون الدولي.

وقالت بيكانا موتابارثي باحثة حقوق الطفل المعنية بالشرق الأوسط وكاتبة التقرير: "يجب ألا تتغذى الجماعات المسلحة السورية على الأطفال الضعفاء، الذين رأوا أقاربهم يُقتلون ومدارسهم تُقصف ومجتمعاتهم تُدمر، من خلال ضمهم إلى صفوفها، إن الفظاعات التي تشهدها الأحداث في سورية أصبحت أفظع مع الزج بالأطفال على الجبهات.

وأضافت موتابارثي: "على الحكومات الداعمة للجماعات المسلحة في سورية أن تضغط على هذه الجماعات حتى تكف عن تجنيد الأطفال واستخدامهم في القتال"، وأي شخص يوفر الدعم لإرسال الأطفال للحرب يمكن أن يكون متواطئاً في جرائم حرب".

وأشار التقرير إلى أن عدد الأطفال المجندين في صفوف الجماعات المسلحة غير معروف، إلا أن مركز توثيق الانتهاكات في سورية، قد رصد في تقرير له في بداية شهر حزيران الجاري وفاة 194 طفلاً من الذكور غير المدنيين منذ شهر أيلول 2011.

وحسب التقرير فقد قام الأطفال الذين قابلتهم هيومن رايتس ووتش بالقتال في المعارك، واضطلعوا بأدوار القناصة والحراس في نقاط الأمن والتجسس على القوات المعادية، وعالجوا الجرحى في ساحات المعارك، ونقلوا الذخائر وإمدادات أخرى إلى الجبهات أثناء استعار القتال، وقالوا إنهم انضموا للجماعات المسلحة غير التابعة للدولة لأسباب عدة،منها أن الكثيرين ذهبوا وراء أقاربهم وأصحابهم، في حين كان آخرون يعيشون في مناطق معارك لا توجد بها مدارس مفتوحة أو خيارات أخرى، والبعض شارك في مظاهرات جماهيرية

ريف حلب الشرقي 2014

دفعتهم لبذل المزيد، أو عانوا شخصياً على يد الحكومة، في حين كان كل من تمت مقابلتهم من الصبية، فإن حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي يضم في صفوف قوات الشرطة وفي جناحه المسلح فتيات يحرسن نقاط تفتيش ويخرجن في دوريات أمنية مسلحة في المناطق الخاضعة للسيطرة الكردية.

ونقل التقرير عن ماجد البالغ من العمر 16 عاماً قوله: إن جبهة النصرة في درعا جندته هو وصبية آخرين في منطقته إذ وفرت لهم التعليم المجاني في مسجد، اشتمل على التدريب العسكري والتدريب على رمي الرصاص، موضحاً أن القادة طلبوا من الأطفال والبالغين على السواء التوقيع على كشف تطوعي لأداء عمليات انتحارية، وأحياناً يتطوع المقاتلون، وأحياناً يقول القادة "لقد اختارك الله".

واستهدفت داعش وجبهة النصرة الأطفال بالتجنيد إذ وفرت التدريب العسكري في بيئات مدرسية أو كجزء من برامج تعليمية أوسع تديرها هذه الجماعات، ووصف مجندون سابقون للمنظمة كيف أعطى القادة للأطفال مهام مختلفة أو خطرة بشكل خاص وشجعوهم على التطوع للعمليات الانتحارية، ومنهم "عمرو" الذي قاتل في صفوف داعش شمالي سورية وهو في سن 15 عاماً، وقال إن قادة وحدته شجعوه هو والأطفال الآخرين على التطوع لعمليات التفجير الانتحارية، وإنه وقع على قوائم التطوع على كره منه، لكنه تمكن من الإفلات قبل أن يحين دوره.

وفي بعض الحالات قامت جماعات مسلحة بتجنيد وإلحاق أطفال بصفوفها من مخيمات اللاجئين ومن تجمعات سكانية في الدول المجاورة، وكذلك من داخل سورية نفسها، وقال صبي يبلغ من العمر 17 عاماً إنه عاد إلى سورية ليقاتل وهو في عمر السادسة عشرة بعد أن حضر خُطب تحض رواد المساجد على الجهاد في طرابلس بلبنان.

وعلى الرغم من إبلاغ الائتلاف لهيومن رايتس ووتش في رسالة أن بعض الجماعات المسلحة وخاصة من الجيش الحر اتخذت خطوات لوقف استخدام الأطفال في القتال، وانه تم تنفيذ تدريبات جديدة للقضاء على تجنيدهم، وتعهده بالالتزام بالقانون الدولي الإنساني، إلا أن قائد كتيبة من جرابلس أكد للمنظمة أن الجيش الحر مستمر في قبول الأطفال في صفوفه.

وأشار التقرير إلى حاجة الأطفال المسرحون من الجماعات المسلحة إلى الدعم والرعاية الخاصة، وإلى أن هناك أشخاص يرغبون في ترك الجماعات المسلحة والعودة للحياة المدنية حيث قالوا لـ هيومن رايتس ووتش إن الخيارات الأخرى المتاحة لهم كانت قليلة نظراً للافتقار إلى مؤسسات دعم، ومنهم "صالح" البالغ من العمر 17 عاماً: قاتل في صفوف الجيش الحر من سن 15 عاماً بعد أن تم اعتقاله وتعذيبه على يد قوات الأمن النظامية، وفيما بعد انضم إلى جماعتين مسلحتين أخريين، وقال: فكرت في ترك القتال كثيراً، لقد خسرت دراستي وخسرت مستقبلي وخسرت كل شيء.

وأكدت المنظمة في تقريرها ضرورة التعهد علناً من قبل جميع الجماعات المسلحة في سورية بحظر تجنيد واستخدام الأطفال، وبتسريح جميع المقاتلين أو المساعدين تحت 18 عاماً في صفوفها، ويجب على الحكومات والأفراد الذين يوفرون المساعدات للجماعات المسلحة السورية مراجعة سياسات هذه الجماعات الخاصة بتجنيد الأطفال ودعوتها إلى حظر استخدام الأطفال، والتحقق من السن الدنيا لقبول المجندين.

ودعت المانحين تجميد جميع المبيعات والمساعدات العسكرية، ومنها التدريبات والخدمات الفنية، المقدمة للقوات التي توجد معلومات موثوقة عن ضلوعها في الانتهاكات المتفشية والممنهجة، ومنها استخدام الأطفال كجنود.

وتوصل تقرير صادر عن لجنة تقصي الحقائق الأممية المستقلة بشأن سورية في آذار 2014 إلى أن الجماعات المسلحة الموالية للحكومة لجأت أيضاً إلى تجنيد الأطفال واستخدامهم، وذكر التقرير أن "الميليشيات الموالية للحكومة سلحت واستخدمت الأطفال من أعمار 13 عاماً عند نقاط التفتيش في حلب ودرعا وطرطوس، في تشرين الأول 2013 في درعا كان أطفال تصل أعمار أصغرهم إلى 14 عاماً يتم تسليحهم وتدريبهم من قبل اللجان الشعبية.

وذكرت هيومن رايتس ووتش أنها لم تتمكن من تأكيد هذه المعلومات لعدم قدرتها

نساء سوريا ضحايا الاعتقال والتعذيب والتضييق من طرفي النظام والمعارضة

«مازلنا هنا: سيدات على جبهات النزاع السوري» تقرير لمنظمة هيومن رايتش ووتش قالت فيه أن السيدات في سورية تعرضن للاعتقال والاحتجاز التعسفيين، والأذى البدني، والتضييق، والتعذيب أثناء النزاع السوري، من جانب القوات النظامية، والمليشيات الموالية لها، والجماعات المسلحة المعارضة للحكومة.

وأشار التقرير المكون من 47 صفحة إلى أن لجنة الأمم المتحدة المعنية بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (لجنة السيداو) ستقوم بإجراء استعراض لوضع السيدات السوريات يوم 4 تموز 2014 في جنيف.

ويوثق التقرير تأثير الأحداث السورية على المرأة بصفة خاصة، ويتتبع مصائر 17 سيدة سورية أصبحن الآن لاجئات في تركيا، من خلال التوصيف بالكلمة المكتوبة والتصوير الفوتوغرافي، حيث تعرضن لانتهاكات على أيدي القوات النظامية وتلك الموالية لها، وكذلك على أيدي الجماعات المسلحة المعارضة للحكومة، مثل لواء الإسلام، وجماعات متطرفة مثل داعش.

وقالت ناشطات وعاملات إغاثة من السيدات المتابعات في التقرير إنهن تعرضن للتهديد والاعتقال والاحتجاز التعسفيين والتعذيب على أيدي قوات حكومية أو قوات المعارضة المسلحة، كما تعرضت كافة المحتجزات الست السابقات اللواتي استعرضهن التقرير للإساءة البدنية أو التعذيب أثناء الاحتجاز، وتعرضت سيدة واحدة للاعتداء الجنسي عدة مرات، وقالت سيدات أخريات إنهن وقعن ضحايا للقيود التمييزية المفروضة على ملبسهن وتحركاتهن، وأصيبت سيدات عديدات أو فقدن بعض أفراد عائلاتهن في اعتداءات عشوائية عديمة التمييز على المدنيين من جانب القوات الحكومية.

وأوضحت لايزل غير نهولتز، مديرة قسم حقوق المرأة في هيومن رايتس ووتش: « أن المرأة لم تُعف من وحشية الحرب السورية في أي جانب من جوانبها، إلا أنها ليست مجرد ضحية سلبية، وقالت: إن المرأة تتولى مسؤوليات متزايدة، سواء كان هذا باختيارها أو بضغط الظروف، ولا ينبغي أن تدفع الثمن ترهيباً واعتقالاً وإساءة، بل وتعذيباً.

وقالت: «لقد واجهت سيدات سورية خسائر فادحة، ومع ذلك فإنهن يثابرن كناشطات وراعيات وفاعلات إنسانيات، وعلى المجتمع الدولي محاسبة الحكومة السورية والجماعات المسلحة على الانتهاكات بحق السيدات والفتيات، كما يجب على الحكومات المانحة المساعدة في تلبية احتياجاتهن العاجلة والضغط من أجل مشاركة المرأة بفعالية في تحديد مستقبل سورية.

وقال عدد من السيدات إن قوات نظامية أو جماعات مسلحة غير تابعة للدولة مارست بحقهن التضييق أو التهديد أو الاحتجاز بسبب نشاطهن السلمي، بما في ذلك التخطيط والمشاركة في مظاهرات سلمية، وتقديم المساعدات الإنسانية للسوريين المحتاجين، ووصفت سيدات أخريات خبرتهن بعد تولي عمادة أسرهن أو إعالتها فعلياً حينما اعتقلت القوات الحكومية أقاربهن الذكور، أو حينما أصيبوا أو قتلوا في هجمات عشوائية عديمة التمييز على مناطق مدنية بأيدي جماعات مسلحة.

مايسة 30 سنة، كانت تقدم المساعدة الطبية للمدنيين، وتعمل في قناة فضائية مؤيدة للمعارضة، قبل احتجازها من قبل قوات أمنية حكومية في دمشق في نيسان 2013 واعتدوا عليها بالضرب في الليل بخرطوم أخضر غليظ:،وقالت «كانوا يصفعونني على وجهي، ويجرونني من شعري، ويضربونني على قدمي وعلى ظهري وفي كل مكان».

وأوضحت هيومن رايتس ووتش أن جماعات مسلحة غير حكومية قامت أيضاً بالتضييق على سيدات من اللواتي استعرضهن التقرير واحتجازهن، وفرض سياسات تمييزية على السيدات والفتيات، بما في ذلك القيود على الملبس وحرية التنقل، ومنهن بريفان، 24 سنة، وهي سورية كردية، تقدم المساعدة الطبية لأشخاص يعيشون في مخيم اليرموك المحاصر في دمشق حين احتجزتها جماعة لواء الإسلام المسلحة غير التابعة للدولة، وتم الإفراج عنها بعد 10 أيام، ولكن حين حاولت إعادة افتتاح صيدليتها البدائية في المخيم، هددتها داعش لأنها ترتدي الحجاب دون العباءة، «قالوا لها: 'إذا رأيناك بهذا الشكل ثانية فسوف نقتلك. إذا رأيناك في هذه المنطقة سنشنقك.

أمل قتل أربع من أطفالها الخمس في قصف بالقنابل البرميلية على حلب في تموز 2013، وبعد هذا بقليل تعرض زوجها لسكتة دماغية أصابته بشلل جزئي وإعاقة في الكلام، وتضطلع أمل، 44 سنة، بدور راعيته. في آذار رحلت الأسرة إلى تركيا لطلب العلاج الطبي والرعاية التأهيلية للزوج، وهناك كانوا ينامون بمنتزه في العراء ويعتمدون على الصدقات لتناول الوجبات مثلها مثل الكثيرات غيرها اللواتي أصبحن معيلات لأسرهن بعد فقد المعيل.

نساء يهربن بأطفالهن أثناء إحدى الغارات

الوصول إلى سورية، إلا أن صبياً يبلغ من العمر 18 عاماً قال لها:إنه عندما كان في السادسة عشرة من عمره، حاول مسؤولون أمنيون حكوميون تجنيده كمخبر على زملائه في المدرسة، لكنه رفض.

وفي تشرين الثاني 2012 وثقت هيومن رايتس ووتش خدمة أطفال تبلغ أعمار أصغرهم 14 عاماً في أدوار داعمة، وأطفال تبلغ أعمار أصغرهم 16 عاماً في أدوار قتالية، في كتائب ناشطة في درعا وحمص وتنتمي إلى الجيش السوري الحر.

والتقت هيومن رايتش ووتش مع أطفال قامت كل من قوات الجبهة الإسلامية، وحركة أحرار الشام الإسلامية، وكتيبة التوحيد، والجيش السوري الحر، والدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وجبهة النصرة، ووحدات حماية الشعب والآسايش، بتجنيدهم في صفوفها وجذبهم من خلال برامج تعليمية، لتقوم بعدها بتدريبهم على الأعمال القتالية والداعمة.

وقالت استشارية نفسية عاونت ثلاثة أطفال أعمارهم 13 و15 عاماً، بعد أن فروا إلى تركيا: إنهم قاتلوا جميعاً في صفوف كتيبة التوحيد في حلب، وإن أحد الأطفال، ويبلغ من العمر 15 عاماً، انضم لأن "موقفه المالي كان صعب للغاية" وأن "والده كان قد مات وليست له أسرة ترعاه". طفل آخر، يبلغ من العمر 13 عاماً، أصيب بقذيفة وهو في قاعدة للتوحيد، "تم بتر ساقه"،وانضم الصبي البالغ من العمر 14 عاماً بعد أن قبضت القوات الحكومية على والده وقتلته، وقد أصيب قبل خمسة أشهر في معركة.

وغطت هيومن رايتس ووتش انتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة في المناطق التي يسيطر عليها الأكراد في سورية، بما في ذلك تجنيد الأطفال واستخدامهم، في حزيران الجاري، وقالت: منذ تولي حزب الاتحاد الديمقراطي للسلطة في 2012، قامت وحدات حماية الشعب والآسايش " الذراع الشرطية للحزب " بنشر الصبية والفتيات في نقاط أمنية وقواعد في المناطق الثلاث الخاضعة لسيطرة الحزب: الجزيرة وعين العرب وعفرين، وأثناء زيارة إلى الجزيرة في شباط 2014 تبينت وجود أدلة على مشاركة أطفال في وحدات حماية الشعب والآسايش، حيث قابل الباحثون صبياً يبلغ من العمر 16 عاماً قال إنه في وحدات حماية الشعب منذ العام السابق، وأم لطفل يبلغ من العمر 13 عاماً انضم إلى القوات في كانون الأول 2013، وشقيق لصبي يبلغ من العمر 17 عاماً انضم في كانون الثاني 2014

يذكر أن البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل " وصدقت عليه سوريا في 2003 " يحظر على القوات الحكومية والجماعات المسلحة غير التابعة لدول استخدام الأطفال وتجنيدهم، وتعريف الطفل هو أي شخص تحت سن 18 عاماً، كمقاتلين أو في أدوار داعمة. يعد تجنيد الأطفال تحت سن 15 عاماً (بما في ذلك في أدوار داعمة) جريمة حرب بحسب تعريف نظام روما المنشئ للمحكمة الجنائية الدولية.

محكمة جنايات الإرهاب تمتنّع عن تشميل مازن درويش ومُعتقلي المركز السوري للإعلام بالمرسوم التشريعي رقم 22

امتنعت هيئة محكمة جنايات الإرهاب عن تشميل الدعوى المرفوعة أمامها بحق العاملين في المركز السوري للإعلام وحرية التعبير بالمرسوم التشريعي رقم (22) الصادر بتاريخ (10 حزيران 2014)، الذي نصّ بشكلٍ صريح على أن:

يمنح عفو عام عن الجرائم المرتكبة قبل تاريخ 9 - 6 - 2014 وفقا للآتي

عن كامل العقوبة بالنسبة للجرائم المنصوص عليها في المادة /8/ من القانون رقم /19/ الصادر بتاريخ 2 - 7 - 2012 إذا كان الجرم مقترفا من سوري.

كما رفضت هيئة المحكمة الطلبات المُقدّمة من هيئة الدفاع وهي:

التخلّي عن القضية حيث أنّ القضية سبق وتمّ الفصل فيها من قبل القضاء العسكري بتاريخ 11 أيلول 2012 الذي قرّر الاكتفاء بمدة توقيف ثمانية من العاملين في «المركز السوري للإعلام وحرية التعبير»، وبالبراءة لزائرة

كما رُفض طلب هيئة الدفاع باستدعاء الشهود الذي طالب الدفاع بهم في الجلسة السابقة

وقرّرت هيئة المحكمة في جلستها التي عُقِدّت اليوم 30 حزيران تأجيل الدعوى إلى تاريخ 21 تموز 2014 للدفاع، كي يُقدّم ما لديه من أوراق ومُستندات.

علماً أنّ هيئة الدفاع عن معتقلي المركز السوري للإعلام وحرية التعبير كانت قد تقدّمت إلى هيئة محكمة جنايات الإرهاب في دمشق بمذكرة استشارية حول رفض المحكمة تشميل القضية بالمرسوم التشريعي الصادر، وتمّ رفع المُذكرة إلى الهيئة الاستشارية التابعة لمجلس القضاء الأعلى في سورية، في انتظار قرار هيئة المجلس، حيث يشمل رفض تنفيذ نص المرسوم احتجازاً لحريّة الموقوفين دون وجه حق، وإساءة في استخدام السلطة المُتاحة للمحكمة، والتي تؤكد يوماً بعد يوم افتقادها الكُلّي لأبسط مفاهيم العدالة الإنسانية، ومن هذه المفاهيم أنّ لكل إنسان الحق في المحاكمة العلنية العادلة. وأنّ المُتهم بريء حتى تثبت إدانته

وجدد المركز السوري للإعلام وحرية التعبير، مطالبته الحكومة السورية بإطلاق سراح مازن درويش والزملاء معه، دون أي مماطلة أو تسويف، وكل من شملهم المرسوم التشريعي بأحكامه، ومطالبتها بالكشف الفوري عن مصير المُختفين قسراً، وحمّل هذه السلطات مسؤولية سلامة جميع المعتقلين والمُختفين قسراً الجسدية والنفسية.

وتساءل المركز عن الجدوى الفعليّة من المرسوم التشريعي رقم 22 وما سبقه من مراسيم رئاسية أثارت اهتماماً إعلاميّاً دون مُنعكسات واقعيّة إيجابية.

يُذكر أنّ الحقوقي والصحفي مازن درويش رئيس المركز، والمدون حسين غرير، والأستاذ الجامعي هاني الزيتاني معتقلون منذ تاريخ 16 شباط 2012، ولا يزالون قيد الاعتقال في سجن دمشق المركزي منذ تحويلهم إليه بتاريخ 30 تشرين الثاني 2012، بعد أن قضوا أشهراً في عداد المُختفين قسراً، تعرّضوا خلالها لمختلف أشكال التعذيب.

18 ألف مدني مازالوا محاصرين داخل مخيم اليرموك بظروف معيشية قاسية

أكدت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في منطقة الشرق الأوسط (الأونروا) عدم قدرتها على توصيل المساعدات الإنسانية إلى مخيم اليرموك، رغم التقارير التي تحدثت عن هدنة بين الحكومة السورية والجماعات المسلحة داخل المخيم.

وقال كريس غانيس المتحدث باسم الوكالة: كان آخر توزيع للمساعدات داخل المخيم منذ شهر، بعد ورود تقارير عن اتفاق 21 حزيران داخل اليرموك، ونسعى بشكل حثيث لاستئناف وتوسيع أنشطتنا الإنسانية داخل المخيم، حيث لا يزال 18 ألف مدني محاصر ويعانون من ظروف قاسية.

وأوضح غانيس في بيان صحفي: أن الوكالة تقف على أهبة الاستعداد لتنفيذ استجابة إنسانية سريعة للوفاء بالاحتياجات الفورية والطويلة الأجل للمدنيين في مخيم اليرموك، وستواصل الدفاع والعمل من أجل استمرار وصول المساعدات الإنسانية بصورة كبيرة وآمنة للمخيم، وإلى ضمان حماية المدنيين الفلسطينيين والسوريين.

يذكر أن أكثر من 140 ألف لاجئ فلسطيني من أصل 160 ألفاً كانوا يقطنون المخيم فروا من منازلهم منذ بدء الأحداث فيه عام 2012، إلى مناطق داخل سورية وخارجها.

وسط العديد من الشكوك الدولية سورية تسلم كامل أسلحتها الكيميائية

وسط جملة من الشكوك بأن سورية أصبحت خالية من الأسلحة الكيميائية أعلنت منظمة حظر الأسلحة الكيميائية الأثنين الماضي بأن المئة طن المتبقية من المواد السامة والتي تشكل حوالي 8 ٪ من إجمالي الأسلحة التي كانت بحوزة النظام قد تم تسليمها.

وقال «أحمد أوزومجو» رئيس منظمة حظر الأسلحة الكيميائية: كل الأسلحة الكيماوية المعلنة خرجت من سورية لكننا لا نستطيع أن نقول كأمانة عامة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية أن سورية لم تعد تمتلك أي أسلحة كيماوية، ونأمل أن ننتهي قريبا من توضيح جوانب معينة من الإعلان السوري والبدء في تدمير مبان معينة استخدمت كمنشآت لإنتاج أسلحة كيماوية.

وأكد أوزومجو أن التحقيق سيتواصل في مزاعم عن استخدام الكلور في سورية ومراجعة قائمة المواد الكيماوية التي أقرت سورية بحيازتها.

وقالت سيجريد كاج رئيسة فريق الخبراء المشترك من الأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية في تصريحات لها في قبرص إنه سيتم خلال ثلاثة أشهر البدء في عملية لتدمير 12 من مواقع الإنتاج والأنفاق داخل سورية والتي لها صلة ببرنامج الأسلحة الكيماوية.

ونقلت رويترز عن محققي منظمة حظر الأسلحة الكيميائية قولهم إن معلومات أولية تؤيد وجهة نظر الحكومات الغربية بأن كيماويات شبيهة بالكلور لم يكشف عنها للمنظمة قد استخدمت في سورية.

وكانت حكومة الأسد أعلنت أنها تريد إنهاء المهمة المشتركة للأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بقيادة كاج بمجرد شحن كل مواد الأسلحة الكيماوية، إلا أن الحكومات الغربية ترغب في مواصلة المهمة للتحقيق في عدة أمور غامضة في الإعلان السوري الخاص بالأسلحة الكيماوية وفي مزاعم عن وقوع هجمات بغاز الكلور.

إعلام النظام يعطي دروساً في تقدير النعمة
السوريون يتخوفون من رفع سعر الخبز والكهرباء في تحسن

■ أنليل فارس - دمشق

"نأكل خبز حاف ولا نذل"، مثل قديم يضرب في دمشق، لكن اليوم حتى الخبز الحاف يبدو أنه لن يكون بمتناول الجميع، حيث تنتشر بين الدمشقيين إشاعة قوية حول رفع سعر كيلو الخبز، الذي يعتبر المادة الغذائية الأساسية لغالبية السوريين، لدرجة أنهم يقولون أنهم لا يشعرون أنهم تناولوا طعامهم إن لم يتناولوا الخبز.

ودأبت بعض وسائل الإعلام الموالية للنظام على بث تقارير تفيد بأن هناك سوريين يجففون الخبز ليقدم علفا للحيوانات، ومنهم من يرمونه في القمامة، وعليه يخرجون أشخاص يطالبون برفع سعر الخبز ليتعلموا تقدير النعمة.

سعاد ج، موظفة في القطاع العام من دمشق، قالت لـ"سوريتنا"، "السوريون اليوم لا يستطيعون شراء الخبز ليسكتوا جوعهم، فكيف إن رفع سعره، لكن على ما يبدو سيكون هذا أولى إصلاحات ما بعد الانتخابات".

من جهتها، قالت أم عدنان، من دمشق، "لم يعد شراء الخبز من معظم الأفران بالمستطاع لأنك بحاجة إلى الوقوف بين الساعة والساعتين لتحصل على ربطة خبز بـ15 ليرة سورية، في حين تباع في المحال التجارية بـ50 ليرة، أي إذا صح وأصبح سعر الربطة بـ40 ليرة ستصبح في المحال بـ150 ليرة، فمن يستطيع عندها أن يشتري خبزه".

وأضافت أن "غلاء الخبز سيحرمنا حتى من التحسن به، فهو اليوم أرخص مادة يمكن أن تسكت بها جوع إنسان، وما أكثرهم هذه الأيام".

بدوره قال، أحمد، من دمشق، "لست متأكدا إن كانوا سيرفعون سعر الخبز أو لا، لكن أعتقد أن الناس اعتادوا رفع الأسعار بشكل متكرر وكبير خلال السنوات الماضية".

وأضاف "صحيح هناك من يشتري كميات كبيرة من الخبز ويبيعها كعلف، لكن يوجد حلول أخرى لمعالجة الموضوع كأن يراقبوا الأفران وكميات الطحين وتجار الخبز الذين يتجمهرون أمام الأفران على مرأى الجميع"، متسائلا إن "كان هناك قلة يتلاعبون بقوت الشعب فهل من المعقول أن يعاقب الشعب كاملا".

في المقابل نفت وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك في النظام، وجود أي نية لرفع أسعار الخبز، قائلة إن الطحين متوفر بكميات جيدة.

بدوره، تساءل حسن، ناشط في مجال الإغاثة في دمشق وريفها، "من يبيع الخبز كعلف ومن شركائهم؟، جميع أفران دمشق تقريبا يشرف عليها عناصر من القوات النظامية وإن كان معظمهم من عناصر قوات الدفاع الوطني سيئة السمعة، وكل هذه الكميات المهدورة من الخبز تباع بمعرفتهم".

ويتابع "أي شخص يقف أمام فرن ما سيرى كيف تعبأ سيارات بالخبز، ولا يعلم أحد أين يذهب بها، كما أن سيارات الخبز اليابس تمر على الحواجز العسكرية ومن السهل أن يصلوا إلى مصدرها ومحاسبة من يتاجر بها".

أحد أفران دمشق

واعتبر أن "أساس المشكلة ليس في هدر الخبز بل في غلاء العلف، ما جعل المربي يبحث عن أي بديل أخر، والمتنفذون والتجار قدموا الخبز كحل لهذا الغلاء، في وقت تغيب الرقابة والمحاسبة وإيجاد الحلول الحقيقية للأزمات التي يعيشها السوريون".

ويوجد في سوريا 34 مطحنة موزعة على كافة المحافظات، بقي منها 20 مطحنة بسبب الأحداث التي تشهدها البلاد، في حين تبلغ قيمة العجز التمويني سنوياً أكثر من 100 مليار ليرة فقط في الطحين، تغطيها الدولة تحت ما يسمى الدعم.

يشار إلى أن أزمة الخبز في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة أكبر بكثير من مناطق النظام، حيث يعاني السوريون من شبه انقطاع، في وقت وصل سعر ربطة الخبز في الغوطة الشرقية إلى 2800 ليرة، أما في المخيم اليرموك فأصبح فاكهة مفقودة، وهناك مناطق نسيت الخبز وأخذت تعجن مادة المعكرونة إن توفرت، وأخرى لم يبق لها سوى الحشائش تقتات منها، وذلك جراء الحصار الذي تفرضه القوات النظامية على تلك المناطق.

وفي سياق متصل، علمت "سوريتنا" أن ملاسنة وقعت بين وزير الكهرباء "عماد خميس" وزميله وزير النفط "سليمان العباس"، خلال الاجتماع الأخير لحكومة النظام الأسبوع الماضي، تبادلا بها التهم حول تحمل المسؤولية تردي وضع الكهرباء، وعقب هذه الأنباء شهدت جنوب سوريا تحسنا في واقع الكهرباء.

وكان واقع الكهرباء تدهور بشكل كبير خلال الأسابيع الأخيرة في المنطقة الجنوبية من البلاد، حيث وصلت ساعات التقنين في بعض المناطق إلى 20 ساعة وعدة أيام في مناطق أخرى.

وتعددت أسباب انقطاع التيار الكهربائي في البلاد عامة، في المنطقة الجنوبية كان أهم أسبابها عدم توفر الوقود اللازم لتشغيل المولدات الحرارية جراء تضرر أنابيب الغاز بسبب القصف والتخريب المقصود، إضافة إلى تدهور الوضع الأمني ما منع من جلب صهاريج خاصة بنقل الغاز والفيول من مناطق أخرى، إضافة إلى الأضرار الكبيرة التي لحقت بشبكة نقل الكهرباء.

وينعكس انقطاع التيار الكهربائي على الناس بكثير من السلبية، جراء اعتمادهم عليها بكثير من تفاصيل معيشتهم تبدأ من تأمينهم مياه الشرب عبر المضخات، إلى تضرر مصادر رزقهم من ورش صناعية ومحال تجارية.

يشار إلى أن معظم المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في دمشق وريفها، لا يصلها التيار الكهربائي منذ فترة طويلة، إما جراء المواجهات العسكرية أو أن النظام قطعها لزيادة الضغط على الحاضنة الشعبية فيها، وهم اليوم يعتمدون على المولدات الكهربائية المنزلية أو الصناعية حيث يشترك مجموعة من الأشخاص فيها مقابل مبلغ محدد، وهي تعمل يومين بين ساعتين وأربع ساعات.

وكانت نقابة الكهرباء في اتحاد عمال دمشق قالت، في وقت سابق، إن الخسائر المباشرة لقطاع الكهرباء بلغت حتى نهاية العام الماضي 157 مليار ليرة، فيما وصلت الخسائر الغير المباشرة إلى 631 مليار ليرة، ناجمة عن انقطاع التيار الكهربائي.

الآن.. هنا..
حكايات في زمن الخلافة

■ رند صبّاغ

«لقد ابتليت بهذا الأمر العظيم، لقد ابتليت بهذه الأمانة، أمانة ثقيلة، فوليت عليكم ولست بخيركم ولا أفضل منكم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فانصحوني وسددوني، وأطيعوني ما أطعت الله فيكم».

يقف «الخليفة» أبو بكر البغدادي على منبره في الموصل معلناً نفسه بالصوت والصورة حاكماً وآمراً باسم الله، وإن كانت الحكومة العراقية تؤكد أنه ليس البغدادي بالفعل وأن الرجل مصاب ويتم علاجه في سوريا، إلا أن ذلك لا يغير من شكل الواقع شيئاً، الخلافة تمت، والدولة الإسلامية على طريقة داعش حصلت بالفعل..

إعلان الخلافة..

بدأت الحكاية يوم الأحد الأول من رمضان (29 حزيران) مع إعلان أبو محمد العدناني (المتحدث باسم داعش) الخلافة الإسلامية، ولكن قبيل ذلك وفي اليوم عينه، دخلت خيول البغدادي السبع إلى (ولاية) الرقة، عاصمة الدولة العتيدة، قبل أذان المغرب في صورة تجمع البعد الرمزي والروحاني مع البعد السياسي والعسكري، لتتحقق النبوءة التي ينتظرها عناصر داعش بفارغ الصبر، يتبع الخيول المسرجة بعلم الخلافة فوج من ثلاث سيارات تحمل لوحات مرورية من نينوى، توجهت نحو إحدى معسكرات التدريب لداعش (معسكر الطلائع سابقاً).

يترجل أبو علي الأنباري من إحدى السيارات (القاضي الشرعي الأول للدولة الذي يصفه مقربون بالعقل المدبر للبغدادي) حاملاً وكالة البيعة من البغدادي ليستقبله أبو لقمان (والي الرقة) فيصافحه مبايعاً ليدخل الرجلان مجلساً اجتمع فيه أمراء الولاية وبعض الضيوف، وعلى الإفطار خطب أبو لقمان بالحاضرين معلناً أن إعلان الخلافة سيتم اليوم، ليأخذ البيعة من الأمراء والضيوف، وفي سياق خطبته أشار إلى أن البغدادي سيأتي قريباً ليأخذ البيعة بشخصه وباسمه (عبد الله - إبراهيم العواد البدري)، لتكون المفاجأة للكثير من الحاضرين بأن هذه الزيارة ستكون الثالثة للبغدادي وإن كانت الأولى بصفته خليفة للمسلمين.

في اليوم التالي أجرى عناصر الدولة إجراءات أمنية مشددة، حيث أغلقوا مداخل الرقة وشوارعها الأساسية بحواجز وسواتر إسمنتية، واعتقلوا كل شخص يركن سيارته في هذه الأماكن وغرموه بـ 2500 ليرة سورية، معلنين حظر تجوال بشكل من الأشكال، وحينها بدأت الشائعات بأن البغدادي قادم، وما عززها الاستعراض العسكري الكبير للدولة الإسلامية الذي تقدمه خيل يحمل راية الولاية، تتبعه سيارات ومركبات وحاملات السلاح، تزامنت مع غارة جوية للنظام في سماء المدينة.

وفي الثالث من رمضان بدأت البيعة العامة التي استمرت إلى يوم التشريع وهو يوم الجمعة المنصرم (الذي أعلن فيه تطبيق الشريعة).

في البدء..

تم (تحرير) الرقة، ليدخل المقاتلون الأجانب برفقة جبهة النصرة، محتلين مبنى المحافظة في 4 آذار 2013، ونهاية نيسان من العام عينه، ظهر الخلاف ما بين تنظيم الجهاد في العراق وأفراد النصرة المؤمنين ببيعة الظواهري والملا عمر، في هذا الوقت أتى من العراق أبو علي الأنباري ليواجه نظيره أبو العباس شرعي جبهة النصرة الذي أرسله الجولاني، لتتم مناظرة فيما بينهما، انضم على إثرها معظم أعضاء النصرة في الرقة إلى التنظيم العراقي وأعلن في حينها تأسيس تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام، ولم يتبقَ من النصرة إلا 18 شخصاً لم يبايعوا، وانسحبوا إلى منطقة جعبر التي تبعد 50 كم عن مركز المدينة.

وتقول أكثر النظريات تداولاً عن المناظرة، بأن الأنباري المشهور بخطابته حاول سحب البساط من أيمن الظواهري المتهم بتنازله وتهاونه مع إرث أسامة بن لادن وإهانته للقاعدة، لصالح أبو بكر البغدادي الرجل الأشد ألمعية في المرحلة، فامتلك الأنباري حججاً أقوى من أبو العباس، فأعال الكثيرون مسألة ميل المهاجرين إلى بيعة البغدادي وقبلها إلى الدخول في تنظيم العراق والشام بأنهم أقل تأثراً بالقوى على الأرض من الأنصار، (حين لم تكن داعش قد شكلت قوتها بعد) فالمهاجرون أتوا ومقصدهم (الجهاد في سبيل الله) حيث كان المهاجرون قادمون للجهاد (في سبيل الله) ما قربهم فكرياً إلى تنظيم العراق والشام.

وربما كان الجدير بالذكر أن داعش تمارس شكلاً من أشكال التمييز ما بين الأنصار والمهاجرين لمصلحة الفريق الثاني، حيث لم تثق بولاءات الأنصار ثقتها بنظيرتها لدى المهاجرين، وانطبق الأمر على عدة أصعدة منها المناصب والسلطة والقوة والنفوذ وصولاً إلى الأمور المادية.

بالعودة إلى نيسان 2013، فلم يتطرق أحدهم حينها إلى مسألة الخلافة، والتي تم التلميح إليها تدريجياً، بهذا لم يدرك الناشطون بداية الأمر حجم الهوة الحاصلة وأبعاد الخلاف الناشب في المقر، فكثافة الانشقاقات وتأسيس الكتائب الجديدة كل يوم جعل الأمر حدثاً عابراً، لتبدأ علامات الخطر بالظهور مع خطف رئيس المجلس المحلي في الرقة عبد الله خليل (والذي كان مرشحاً للرئاسة عام 2006 واعتقل عدة مرات) وقوبل الأمر بردة فعل شعبية وازداد على إثرها الامتعاض، حيث تجسد خطر داعش بشكل أوضح مع الأيام، بالأخص مع اختطاف فراس الحاج صالح وإبراهيم الغازي وعدد من الناشطين البارزين، ليأتي الخلاف مع لواء أحفاد الرسول من كتائب الجيش الحر، والتفجير الذي قامت به داعش في مقرهم، مبرزاً جانب الخوف بشكل أكبر الذي أنتج عملاً مدنياً كان قد تأصل في مواجهة النصرة من قبل واستمر مناهضاً داعش بعد انكفاء الأولى، فظهر رد داعش عنيفاً جداً وإن كانت لم تتعرض للمظاهرات، إلا أنها كانت تقوم باليوم التالي باختطاف القائمين على الحراك.

حينها انكفأت بقية الفصائل المسلحة على اختلاف خلفياتها الفكرية، ما بين مبايع لداعش ومهادن.

الحرب على داعش..

مطلع كانون الثاني 2014 بدأت الحرب، حيث قام لواء ثوار الرقة بالتعاون مع كل من أحرار الشام ومن تبقى من جبهة النصرة بإعلان الحرب على داعش، وبالفعل شهدت الأيام الأولى تقدماً كبيراً للفصائل المجتمعة ليصلوا إلى مركز الدولة في مبنى المحافظة في الرقة، بالتوازي مع تراجعهم في عدد من المناطق الأخرى قرب إدلب وحلب التي شهدت معاركاً بدورها، إلا أن تراجع داعش في تلك المناطق أدى إلى انسحاب جنودها وعناصرها وعتادها باتجاه الرقة، ما قدم دعماً جديداً لها فبدأ التقدم لصالحهم نحو شرق المدينة، إلى أن بقي أبو عيسى (قائد لواء ثوار الرقة) وحيداً في ساحة المعركة ليتخذ قراره بالانسحاب، وتسقط المدينة بالكامل تحت سيطرتهم.

وعقب انتهاء المعركة وانتصار داعش، أعلنت عن إصدار عفو لمن عمل ضدها أو حمل السلاح في وجهها، طالبةً التوقيع على الاستتابة والتزام المنازل، وبالفعل تجاوب البعض مع الأمر، فيما اضطر قسم آخر للنزوح عن المدينة، وبالأخص الناشطون المدنيون الذين خافوا الرد الانتقامي. وفي هذه المرحلة برز لدى الدولة مبدأ التمكين بشكل أكبر، فصارت صاحبة الكلمة فيما تفرضه وتمنعه، بدءاً من تحديد شكل اللباس ومنع التدخين، كما توسعت مظاهرها الدعوية وتدخلها في تفاصيل الحياة.

سياسة الترهيب..

عملت داعش على استراتيجية ترهيبية لدب الذعر في نفوس السكان، وتم الأمر على عدة محاور وذلك إثر سيطرتها التامة على الرقة، فقامت بعمليات إعدام وصلب في ساحة النعيم، كانت غالباً ما تعلن عنها مسبقاً، ما زاد الرعب لدى الجميع لإدراكهم حجم الخطر والعنف المترتب على أية ممارسة قد يقومون بها ضد التنظيم.

واستمرت في سياسة ملاحقة الناشطين المدنيين والإعلاميين لطردهم بطريقة غير مباشرة، عقب اعتقال أعداد منهم وقتل عدد آخر، فكانت ترمي جثثاً في الطريق أو تسلم بعضها لذويها، ما عدا التنكيل والتعذيب الذي تمارسه ضد المعتقلين، مما أدى إلى هروب من استطاع من قبضتها.

فيما استفادت من الهالة الإعلامية التي أحاطت بظهورها، والتزم عدد كبير منهم بالحفاظ على مظاهر الترهيب بشكل واضح سواءً في ارتدائهم للأحزمة الناسفة بشكل دائم أثناء تجوالهم في المدينة، أو في طريقة لباسهم وظهورهم، وتفاصيل لا مكان لذكرها كاملة.

ومع الوقت لم تعد داعش لتعلن عن كل إعدام تقوم به، أو تقوم بتسليم الجثث التي لديها، وقد كشفت بعض المقاطع المصورة التي انتشرت في الآونة الأخيرة عن استخدامهم «الهوتة» (وهي صدع طبيعي في الأرض غير معلوم العمق) ما قد يفسر اختفاء العديد من الضحايا.

النساء..

بالطبع كان للنساء حصتهن من هذا الترهيب الذي عملوا عليه بالتدريج (وهي استراتيجيتهم الدائمة)، فبدأ الأمر بطلب الاحتشام من خلال دوريات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي كانت من مسؤوليات مكتب الحسبة بالاشتراك مع المكتب الدعوي الذي كان عمله يتركز في تلطيف الخطاب ومحاولة الإقناع بالأمر، وبعد خطوة الاحتشام تم اشتراط ارتداء العباءة السوداء والحجاب الأسود، تلاه النقاب، ليصدر قرار تم تعميمه بالإلزام حول مسألة النقاب والقفازات، وانتهى الأمر بطلبهم لبس الدرع (وهو أشبه بالزي الأفغاني) الذي ترتديه النساء الداعشيات ليصير من الصعوبة في بعض الأحيان تمييز النساء المدنيات عنهن إلا من حملت بينهن سلاحها أو شدت على خصرها حزامها الناسف.

كما فرضت داعش على النساء خروجهن مع المحرم بشكل دائم، وبدأ الأمر بطلب وجود المحرم على طرقات السفر فقط، ليتم فرض المحرم في المساء (والمحرم هو حصراً الشقيق أو الزوج أو الأب أو الابن البالغ)، إلى أن وصل الأمر إلى عدم السماح للنساء بالخروج من منازلهن على الإطلاق دون محرم صباحاً ومساء، وتتحدث الشائعات عن منع النساء من الخروج من منازلهن قبل الإفطار في شهر رمضان، إلا المسنات منهن (واللواتي يتم التعامل معهن بتهاون بشكل عام).

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد حيث سعت إلى تحديد عمل النساء، واقتصاره على القطاعات التي تحتاج إلى وجود نسائي مثل العمل الطبي (طبيبات وصيدلانيات) لوجود مريضات، والتدريس لوجود طالبات، فيما اختفى الوجود النسائي من بعض المؤسسات من مثل مؤسسة البريد والكهرباء وغيرها..

أما الداعشيات فكنّ أحد الأسلحة الأقوى في مواجهة النساء، وهنّ مناصرات ومهاجرات أسوة بالرجال والجدير ذكره أن نسبة المهاجرات كبيرة جداً، وهن صاحبات نفوذ وسطوة أكثر من الرجال ويحظين بالاحترام وما يشبه التقديس من عناصر الدولة، بالإضافة إلى حصولهن على منح مادية ممتازة وعلاقتهن المباشرة مع مكاتب التنظيم، وإن كان لديهن نفوذ أيضاً في المكتب الأمني (والذي يحتوي على مهاجرات حصراً)، فإن ما يتضح للعيان بأنهن صاحبات مشورة لا قرار، في حين يتركز عملهن ما بين المكتب الدعوي ومكتب الحسبة بالإضافة إلى مكتب سهم اليتيم والمكتب الطبي حيث يمتلكن الدور المباشر، ولا بدّ لنا أن نشير هنا على أنهن نساء مدربات على السلاح ويتم تدريبهن في معسكرات تنظيم «الدولة».

وصولاً إلى الدولة..

لم تتدخل «الدولة» في الأشهر الثلاث الأولى بشكل كبير في القطاعات الاقتصادية، بل حاولت تحييد نفسها قدر المستطاع، إلى أن أسست مكاتبها من مثل مكتب الماء ومكتب الكهرباء ومكتب البريد وهي مكاتب تابعة لمكتب الخدمات الإسلامية، فارضةً الجباية على الخدمات التي تقدمها (وهو ما يوازي الفاتورة)، لتنتقل من بعدها إلى فرض ضريبة تم تطبيقها على المحال التجارية وأصحاب الأعمال.

في هذه الأثناء وفي المكاتب الخدمية على وجه التحديد تم تحييد كافة الموظفين عن طبيعة العمل، فمثلاً مكتب الكهرباء (والتي كانت الشركة العامة للكهرباء في مدينة الرقة) كان يضم 1200 موظف قام النظام بقطع أجورهم بشكل رسمي منذ أربعة عشر شهراً، ما عدا 20 شخصاً تم التنسيق بينهم وبين داعش للحصول على المال بصيغة المنحة لا بصيغة الأجر، وهنا تجدر الإشارة إلى أن النظام بقي ملتزماً بإرسال أجور الموظفين العاملين في المدينة في قطاعات مختلفة أخرى ما تصل قيمته تقديرياً بـ 2 مليار ليرة سورية، وإن كان الأمر بشكل متقطع أو متباعد زمنياً.

وفي مواجهة أزمة المياه كانت داعش تعلن دوماً أن المشكلة أساسها تركيا التي تسببت بقطع الماء والكهرباء، ولكن في الوقت عينه عملت داعش على مشاريعها المائية، فقامت بسحب أقنية من النهر لري الأراضي التي يملكها الأنصار، كجزء من فساد إداري واضح لديهم، ما ساهم في مضاعفة المشكلة، أما عملها الأهم وهو ما ينافي حجتها الأولى كان بفتح بوابات لخطوط كانت مغلقة مسبقاً قبل خروج السد عن سيطرة النظام وهي (مسكنة 1، مسكنة 2، حماة 1، حماة 2) المرتبطة حلقياً، حيث كانت كل واحدة منها تعطي 50 ميغا لحظياً، واليوم صارت تعطي 150 ميغا لحظياً، وبالتالي يعطي السد 800 ميغا لحظياً كحد أدنى، وحاجة الرقة لا تتجاوز الـ 100 ميغا ولكنها لا تحصل عليها، وهو ما يكشف على اتفاقية واضحة بين النظام وداعش التي تمده بالكهرباء ولا نعلم ما حصلته بالمقابل منه!

معيشياً أخذت داعش ببسط يدها على الأمور المعيشية البسيطة، كالسيطرة على الأفران، حيث قامت بدايةً بطلب جباية بسيطة على عملهم من خلال الأتاوة التي ترتب على أصحاب الأفران دفعها وصولاً إلى عملهم اليوم تحت إمرتها، إلا أنها أهملت الجانب المعيشي أو لم تعامله بجدية، وعرفت بين الناس على أنها الدولة التي تأخذ ولا تعطي، حتى أن منحها بالنسبة للمكتب الطبي الذي يشمل المشفى الوطني ومشفى التوليد فهي المنح التي أتت إلى المجلس المحلي من الصليب الأحمر الدولي، والتي تسيطر عليها داعش فتمنح ما تريد وتحجب ما تشاء.

بالتالي لم تهتم داعش بالجانب الإغاثي والخدمي إلا من خلال مؤسسة سهم اليتيم، وهي عبارة عن مؤسسة تعطي أبناء الأيتام إغاثة أو منح محددة ضمن تسجيل وتوثيق لأسماء الأيتام.

باقية وتتمدد!

في الوقت الذي ما زالت تدور فيه معارك «الدولة» في العراق، استطاعت داعش بسط سيطرتها منذ أيام على مدينة دير الزور وريفها، متوعدةً بالاتجاه نحو حلب.

وكانت سياسة داعش إزاء عشائر دير الزور تختلف عن السياسة التي اتبعتها مع نظيراتها في الرقة وريف حلب الشرقي، لتعمل على مبدأ المنفعة المادية، ما أوصلها إلى مرادها في خلق صدع بين العشائر فيما يتعلق بمسألة النزاع الدائر على آبار النفط، حيث سعت داعش إلى كسب الولاءات من بعض العشائر عن طريق المال، وتحول الولاء بطبيعة الحال مع الوقت إلى بيعة، ما فتح حرب الأخوة الأعداء ما بين العشائر، وأوصلها إلى كيان الأمر الواقع في المدينة، والسيطرة على آبار النفط بشكل تدريجي التي تصل إيراداتها إلى مليارات الدولارات، ما يؤمن لداعش تمويلاً ضخماً.

عوامل عدة ساهمت في الوصول إلى دولة الأمر الواقع، وسهلت سبلها، سواءً على مستوى الفصائل المسلحة والمعارضة السياسية التي لم تستطع سدّ الفراغ من جهة ولم تتخذ موقفاً صريحاً بشكل مبكر من جهة أخرى، والتهاون الإقليمي والدولي في فتح الطرق أمام المهاجرين نحوها ما أوصلنا إلى مرحلة مفتوحة لا تقتصر خطورتها على سوريا والعراق فحسب بل ربما تفتح أبواب الجحيم إقليمياً ودولياً، وتبتسم بوجه النظام الذي قد يكون خيار الغرب الأخير أو المفضل.

معادلة التعذيب بين الجلاد والضحية

■ ياسر مرزوق

"صحيح أنا فشلت في سوريا، والأمر مؤسف. طبعاً القصة ليست شخصية. في النهاية سوريا تدفع الثمن. فهل أنا الذي فشلت شخصياً؟ أم أن العالم فشل في إنقاذ سورية؟". هكذا تحدث الإبراهيمي لصحيفة الحياة.

فشل العالم في إنقاذ سوريا، وتغيرت الأولويات، أو ربما لم تكن سوريا في الأولويات يوماً، في حين لم يدخر النظام جريمة إلا وارتكبها، وبعيداً عن الضوء وبازارات السياسة والإعلام يقبع عدد كبير من السوريين في الظلام، تحت الأرض، يمارس عليهم التعذيب الممنهج، كجريمة من جرائم الدولة والتي عرفها جاك فرجيس بوصفها: "مخالفة القانون من قبل الدولة نفسها، بنسيان مبادئها، وتعطيل شرعيتها الخاصة، والشكل الأقصى لجرائمها في حرمان شعوب بأكملها ليس فقط من مكسب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بل من مجرد حق العيش، فمطاردة الإنسان أسوأ من العبودية التي كانت في قساوتها خاضعةً لأحكام القانون الظلامي على الأقل، مهما بلغت شراسته".

يختلط التعذيب في سوريا مع تقييد الحرية أو الاعتقال السياسي، فلا سجن في سوريا بلا تعذيب، بل إن الجريمة تخطت السجون، ليمارسها عناصر الدفاع الوطني على المدنيين في منازلهم وعلى الحواجز الأمنية، وعناصر الاتحاد الوطني للطلبة على زملائهم في الجامعات، والكادر الطبي على الجرحى والمصابين المعارضين في المشافي.

كتب ياسين الحاج صالح، في كتاب "بالخلاص يا شباب" وتحت عنوان "تجربة وطنية": "السجن نمط حياة إجباري وخبرة مشتركة لعشرات الآلاف من السوريين، إن امتداده الزمني الطويل وقاعدته الاجتماعية العريضة يجعلان منه تجربةً وطنية بالفعل، وللأسف لا تزال هذه التجربة شبه بكماء، لا تكاد تقول لنا شيئاً".

ارتبط الاعتقال التعسفي والتعذيب في التاريخ السوري الحديث بأنظمة الحزب الواحد، فأول موجة كبيرة جرت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا وتغول المكتب الثاني على السوريين، معظم ضحاياها من الشيوعيين، أما الموجة الثانية فكانت بعد انقلاب 1963 ففتك البعثيون بحلفائهم الناصريين، وابتعثوا محققين إلى دول أوروبا الشرقية وخاصة رومانيا لتدريبهم على أساليب التعذيب الممنهج، ومع استيلاء الأسد على الحكم بدأت موجة جديدة من الاعتقالات طالت البعثيين والناصريين والشيوعيين وغيرهم، حتى كانت الموجة الأكبر في الثمانينيات والتي شكلت حملة ترويعية قادتها أجهزة أمنية وميليشياوية، هدفها الاستيلاء على المجتمع بكافة مفاصله، والتحكم به بثقافة الترويع والوشاية.

ومنذ عام 2011 دخلت جريمة التعذيب طور اللامعقول، بحيث يجري الحديث عن مئات الآلاف من المعتقلين والمفقودين تمارس عليهم صنوف العذاب، من تجويع وضرب وإهانة،

عمل للفنان السوري سعد يكن

فشروط الاعتقال وحدها تؤدي إلى الموت في بعض الحالات وما الصور والفيديوهات التي سربتها محطة الأناضول التركية إلا نذرٌ يسير مما يحدث تحت الأرض.

ومنذ بدايات الثورة لم يخف النظام جريمته، ففي وسط العاصمة دمشق وعند مبنى قيادة الشرطة وفي وضح النهار يتم الإفراج عن الأسعد حظاً من الفروع الأمنية، أي الذين خرجوا أحياء، يخرجون حفاة نصف عراة، تفتك بهم الأمراض الجلدية وسوء التغذية وضعف البصر، وعلى جسدهم علاماتٍ تدل على ما لاقوه من عذاب، وبعضهم لا يخرج أبداً بل تسلم هويته إلى ذويه وقد تسلم جثته بعد توقيع الأهل على ورقةٍ تفيد بأن ابنهم قضى على يد العصابات الإرهابية المسلحة ليستفيد النظام من البعد الاجتماعي للتعذيب وهو العبرة، فالمطلوب هو إرهاب الناس وإجبارهم على القيام بأنفسهم باختزال حياتهم ونواياهم وتطلعاتهم غير المرغوب فيها، لكي لا يواجهوا المصير عينه.

كما تلجأ السلطات عند الاعتقال للتعذيب لمعرفة المعلومات وبقية العناصر المتورطين وأماكن الاختباء وأساليب التواصل ما يفترض وجود شخص يمتلك معلومات، وطرف يريد انتزاعها، وهذه العبارة تشتمل التعذيب بكل أشكاله المبتكرة، إنها معركة بين صمود صاحب المعلومة وقدرته على تحمل الألم، وبين المحقق وجماعته الذين يوقعون بالمعني صنوف الألم، والاعترافات المأخوذة بهذه الطريقة لا صفة قانونية لها، فالتعذيب قد يضطر السجين للاستجابة لطلب تحمل مسؤوليات لا علاقة له بها أصلاً، وربما اضطر إلى اختلاق معلومات لكي يخفف التعذيب عن نفسه ولو إلى حين، لكن السلطات التي تمارس هذا النوع من التعامل لا تهتم بتصنيف تعاملها من الناحية القانونية أو الأخلاقية.

يحدث امتزاج بين طلب المعلومات والرغبة الخالصة في الإيذاء وإيقاع الألم والرعب، ويصل الأمر أحياناً إلى نسيان سبب التعذيب، فيظل التعذيب هدفاً ووسيلة وغاية مستقلة، وتحار الضحية في وسيلة الخلاص منه، فلا الاعتراف يكفي ولا الاستسلام حتى مشارفة الموت يكفي، وتصل الضحية إلى درجة الاستعداد لتبني أي جريمة تنسب إليها، وهناك من يقعون تحت التحقيق وهم أبرياء وجاهلون بما يحقق الجلاد فيه، وهؤلاء يكتمون المعلومة ببساطة، لأنهم لا يعرفونها، مثلما أن هناك من يستمر في التعذيب وهو لم يعد يريد المعلومات، إنه يريد إذلال الطرف الآخر والتسلية.

وفي معادلة الجلاد والضحية تبدو شخصية الجلاد مثاراً للاستغراب، خاصةً أنه والضحية أبناء بلدٍ واحد ومجتمع واحدٍ أحياناً، فمن المعروف في السجون السورية أن التعذيب لا يتم على يد المحقق، بل على يد صف الضباط والمجندين أحياناً الذين يتوحدون في كثير من الأحيان مع الضحية في المنشأ والبيئة والطائفة بشكلٍ أكثر صراحة.

إن منفذ التعذيب بعد شحنه بفكر وعواطف معينة وأحقاد خاصة، يشعر بتأديته خدمة خاصة للسلطة التي يحترمها أو يخافها، أو للإيديولوجيا التي يؤمن بها، وهذه السلطة هنا هي الحكومة أو الشعب أو الحزب أو الطائفة أو الجماعة الإثنية، والخصم الحر من أي تصنيف يجب أن يصنف على أنه لا إنساني بحسب ديفيد كوبر في كتاب ديالكتيك التحرر: "اللا إنساني يصبح غير إنسان، وبالتالي يمكن تدميره تدميراً تاماً من دون أي احتمال للشعور بالذنب».

ويقدم يوسف إدريس وصفاً نفسياً فريداً لحالة القابع في السجن في قصته الشهيرة «مسحوق الهمس» ويتحدث عما يفقده السجين تباعاً بدءاً من فقدانه للحرية الذي يصفه بـ»الإحساس السطحي الأول»، ويصل به هذا الفقد المتراكم إلى أن «يصحو الإنسان ذات يوم وهو يحس بالراحة الكبرى وقد انتهت الأزمة ومات الأمل تماماً وحل اليأس الكامل، حينذاك فقط تبدأ حياة السجن الحقيقية، حياة أخرى مختلفة عن حياة الناس، حياة لا أساس لها ولا غد، وإنما طولها يومٌ واحد هو بالتحديد، ذلك اليوم الذي تحياه.. إن مدة فترة الذهاب إلى دورة المياه من عشر دقائق إلى ربع ساعة تعادل في الفرحة بها قراراً يصدر بمنحه إجازة ثلاثة أشهر يقضيها على حساب المصلحة في أجمل مصايف أوروبا».

لعل ما ذكره إدريس يمثل جانباً بسيطاً من التشوه الداخلي الذي يلحق بالمعتقل، فكيف هي الحال والمعتقل مشوهٌ نفسياً وجسدياً وكيف الحال إذا كان المعتقل طفلاً أو امرأة، لذا فنحن بأشد الحاجة لتطبيق فكرة العدالة الانتقالية في سوريا المستقبل والتي أساسها محاسبة الجناة وتعويض ما أمكن على المتضررين من خلال خطة عمل تتلخص بمحاسبة الجناة بشروط قانونية ودستورية والإفراج عن كافة المعتقلين السياسيين وإعادة الحقوق المدنية للمحرومين منها.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1991 - 1994

اليوم الثامن 11/8

منذ البارحة شعرت بأنني قد أصبت (بفيروس) الرشح الشديد، ولم يأت الليل إلا وأسلمت النفس للنوم، وانهار جسدي، وبدأ أنفي يسيل، وعندما حل الصباح كنت طريح الفراش.

أوقفت القراءة، وهذا أنا أنام قبل الظهر، وبعده وليلاً كما رافقني العطس، والسيلان الكثيف، وأحسست ليلاً بالبرودة اخترقت عظامي، ورغم ثقل الأغطية فإن الجوار وضع فوقي الأغطية تلو الأغطية، ولم أشعر بالدفء إلا بعد منتصف الليل.

كنت أهذي وتمر بالبال نداءات الديمقراطية، وزيارة ياسر عرفات الخاطفة لدمشق لتحسين العلاقات بين المنظمة ودمشق، وللإفراج عن آلاف الفلسطينيين القابعين في السجون السورية. كما كنت عبر الهذيان أرى ابنتيّ خزامى وريما وولدي قصي وزوجتي.. أراهم يمشون معي مقابل البيت في البساتين تحت أشجار الجوز والحور، وحيناً نميّل على بستان من بساتين الفصة نراقب الأبقار وهي ترعى، أما قصي فينصرف إلى اصطياد العصافير ببندقية الضغط، وخزامى تنصرف إلى ركب الدراجة على الطريق الترابية، وفجأة أرى أم قصي جوار فرع /تورا/ تهيئ الطعام. نتناول بعد مدة الأكل في الهواء الطلق تحت السماء وأمام الأشجار.

أعود إلى وضعي تحت البطاطين، فأعرف أنني ما زلت في السجن وأنني أتعرض لنوبة من البرد الشديد، تنقلب أحياناً إلى حرارة.

هكذا أمضيت يوماً كاملاً وأنا في هذه الحالة، وقد ذكرتني بقصة /البحار/ لمركيز وهو كتبها عن المدمرة البولونية /كاداس/ وقد نجا منها بحار واحد تعرض خلال عشرة أيام لكوابيس الموت في عرض البحر.

اليوم التاسع 11/9

حالتي تحسنت اليوم، وقد خرجت للتنفس، أنفي نصف سائل. سرت وتعرضت للشمس، وحذرني بعض الأطباء، وبدأت أقرأ عدد /الوحدة/ لشهر حزيران 1991 الخاص بعصر التنوير.

هذه المجلة عميقة في أبحاثها وجادة. إنها تطرح اتجاها سياسياً وفكرياً واقتصادياً جاداً. هي تنقل القارئ إلى ثقافة رائعة في زمن منحدر، وقد علمنا التاريخ أن النهوض الثقافي ليس مرتبطاً بالانحطاط السياسي.. بقي الرشح يلح علي ويقودني نحو النوم إلا أنني أسترسل مع أبحاث المجلة.

إنني في زمن أرى أن التغريب لا يفيد، وأن التمسك بالتراث والتكرار والتقديس ليس فقط لا يفيد، بل إنه يحول دون التواجد التاريخي، وعبر أعداد كثيرة من هذه المجلة التي كانت تصل لنا تباعاً منذ سجن تدمر لفتت نظري بطرحها لمسألة التعددية السياسية والتعددية الاقتصادية، وحالياً تلح في العديد من ملفاتها على فضح الاستبداد، وفضح الطغيان باحثة عن أسبابه شارحة أخطاره.

وعند ذكر الاستبداد والطغيان نذكر عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله إن كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) يعتبر قاموساً دليلاً للضائعين في الصحراء قال الكواكبي العظيم:

«العرض - زمن الاستبداد – غير مصون، كسائر الحقوق، بل هو معرض لهتك الفساق من المستبدين والأشرار من أعوانهم فإنهم يأسرون الأولاد، ويستحيون النساء في الحواضر الصغيرة والقرى المستضعف أهلها، ومن الأمور المشاهدة أن الأمم التي تقع تحت أسر أمة تغايرها في السيماء لا يمضي عليها أجيال إلا وتغشو فيها سيماء الآسرين».

اليوم العاشر 11/10

منذ بداية هذا الشهر صار شاويش الجناح عبد القادر استنبولي من السلمية، جامعي حاصل على: ر ف ك، وهي دورية لمدة ثلاثة أشهر يكون الشاويش هو الصلة بين الجناح ومساعد الانضباط والمناوب اليومي، ومع مدير السجن. هو المسؤول عن احتياجات السجن وتقديم المطالب وخاصة ما يخص الزيارات والأكل وهو في الداخل المسؤول عن شواش المهاجع فهو يتعاون معهم من أجل الحياة الداخلية.. النظافة.. التنفس.. الخدمة في الممر، وقد قدم طلباً للقاء مدير السجن قبل أسبوع وقابله مساء هذا اليوم، وسمعنا أن في رأس ما لباه أن المياه سوف تأتي بالحنفيات بدلاً من الخرطوم.

أما الزيارات فستبقى على شبكين، وبالنسبة للحمة كانت ثلاث مرات في الأسبوع، ثم أصبحت مرتين، ثم مرة واحدة، وأخيراً استقرت على مرة واحدة، وهي تأتي متواضعة ملأى عظاماً. وعد أن نستبدلها بالفروج.

طبعاً إدارة السجن تحمل انطباعاً جيداً عن جناحنا، فهو دائماً نظيف ومزين بالأصص، ويحاول الجميع عدم المخالفة، ولا يصطدموا مع العساكر، ولا يفتعلون الضجيج، وإذا غلط معنا أحد من العساكر أو الرقباء أو حتى مساعد الانضباط لا نسكت، وربما تصل الأمور إلى الزنزانة أو الدولبة.

لكن في هذا السجن لا يمكن الضرب به بدون سبب كما كان الأمر ولا يزال في سجن تدمر.

اليوم الحادي عشر 11/11

حاولوا في المهجع منعي من القيام بمهامي كطباخ، مخافة من الانتكاس، لكنني أصررت، وهكذا مضيت إلى قلي القرنبيط ظهراً، والجبنة صباحاً، والتعرض للمياه الباردة، وإذ بي أشعر بعد تنظيف قصاع الغذاء بالبرد والنعاس، وهكذا نمت من الساعة الثانية والنصف إلى الرابعة، وجاء المساء فقرأت وتعشيت ونظفت المطبخ. وعند الساعة الحادية عشرة نمت بعمق. كان أنفي بين الفينة والأخرى يطلق رزازاً خفيفاً، لم أقدر على الكتابة ليلاً لذا بقي هذا الدفتر على الرف، وصباحاً، استيقظت حول الساعة الثامنة، كنت أتدثر، وأستسلم للدفء، وللسكون العميق والذكريات الدافئة.. هذه الأيام تمر غير مستقرة، وملأى بالمخزون الحزين.. أحياناً يشعر أحدنا أنه سيموت في هذا السجن، إذ الصمت مطبق، وليس من خبر، والنظام يلهث وراء ذر الرماد في العيون، وصحافته تعكس من الآراء ما يجعل المرء يقرف وينفجر غيظاً، والمستقبل مسدود، وأنظمة الاستبداد لا تتزحزح، إلى متى هذه الأسوار؟ إلى متى هذه الأبواب المغلقة؟

لقد جاءتنا أخبار عام 1985 تؤكد أن إخلاء السبيل بات قريباً. وبقينا في سجن تدمر 4 سنوات، وجئنا إلى هنا في 26 أيلول 1987. قلنا:

- لقد فرجت، وتتالت الأعوام. وها نمضي في سجن /تلفيتا/ أربع سنوات أخرى، والحبل على الجرار وأخذ واحدنا يكتشف مدى ما يختزن النظام من حقد.. فهل نأمل بعد كل ذلك بإخلاء السبيل.. ربما نبقى لنهاية الألفية الثانية.

حازم صاغية: نواصب وروافض
منازعات السنّة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم

■ ياسر مرزوق

مرةً أخرى يحل حازم صاغية ضيفاً على صفحاتنا، وكعادته يأتي بعناوين صادمة وجاذبة، كتابنا اليوم مجموعة من الدراسات عن النزاع السني الشيعي في العالم الإسلامي اليوم، تولى صاغية جمعها وتحقيقها، يقول صاغية «يعد انفجار الخلاف السني - الشيعي وصراحة التعبير عنه في غير بلد إشارة ساطعة على بلوغ التمزق في نسيج مجتمعاتنا مدى بعيداً، وعلى توسع رقعة «الآخر» في الحياة والثقافة العربيتين والإسلاميتين على ما أشار، ذات مرة، الكاتب التونسي صالح بشير...فالحال أن ثقافتنا التي تتحايل على مشكلاتنا بالإنكار والتجاهل تتحمل مسؤولية كبرى عما آلت إليه الأمور. ذاك أننا بدل أن نواجه المشكلة على حقيقتها «وغني عن القول إن المعرفة شرط المعالجة الشارط»، آثرنا اللجوء إلى «كلنا إخوان» الشهيرة. لكن نظرة أكثر نقدية، وأقل اكتراثاً بما كان يعلنه الطرفان، وبصورة كل منهما عن ذاته، وعن «الآخر» استطراداً، تسمح بالقول إن المنازعة هذه تملك عناصر الانفجار ما لا يجوز غض النظر عنه. فهي تحتوي على طاقة تقويض لأكثر من بلد «العراق، البحرين، لبنان..»، فيما تتصل ببعض الموضوعات الأساسية لتقدم المنطقة ككل، وفي رأسها الحداثة والعلمنة ومفهوم المواطنة. صحيح أن الموضوع ليس، في نهاية المطاف، دينياً، أو أن الديني فيه يحاكي ويكمل المسائل الاجتماعية والسياسية الأعراض. إلا أن ذلك لا ينفي، قبل التصدي للتفكير في حلول لن تأتي، ضرورة رسم صورة أدق عن الفاعلين المهنيين بالأمر، وعن طبيعة المنازعة الدائرة بينهما، وأحد أبعادها ديني ولو صير إلى تخفيفه بتعبير «مذهبي».

ينقل صاغية عن الداعية الإسلامي الدكتور سلمان العودة الذي كتب في جريدة «الجزيرة» السعودية: «لليهود أعيادهم وللنصارى أعيادهم الخاصة بهم.. وللمجوس كذلك أعيادهم الخاصة بهم، وللرافضة أيضاً أعيادهم مثل عيد الغدير (..) أما المسلمون فليس لهم إلا عيدان»، مما حدا بالكاتب اللبناني حازم صاغية قائلا: «هو هنا (العودة) يخرج الشيعة من دائرة الإسلام وبطريقة ازدرائية واضحة».

ويرى أن العودة يفضل «الانعتاق بصورة مؤقتة من إملاءات أرثوذكسية صارمة، ليزاول دور المثقف الديني المنفتح على معارف عصره، فيكتب في التنوع بوصفه سنة ربانية، ولكنه يقصره على التنوع الشكلي».

وبالعودة إلى العنوان تجدر الإشارة إلى أن تعبير روافض أو رافضة هو نعتٌ أطلقته جماهير السنة على الشيعة بعد نضوج المذهب إشارة إلى الشيعة الرافضين للخلفاء الراشدين الثلاثة قبل الإمام علي بن أبي طالب، وذلك تمييزاً لهم عن الشيعة الأوائل الذين اكتفوا بتفضيل علي دون الانتقاص من بقية الخلفاء، أما النواصب فهو ردٌ من الشيعة على السنة الذين برأيهم ناصبوا آل البيت العداء، ورفضوا نصرتهم، على اعتبار السنّة امتداداً للأمويين، وخاصة يزيد بن معاوية، ممن قتلوا الحسين وآل البيت في كربلاء ويحمّلونهم مسؤولية دم الحسين وآل البيت.

الكتاب، الذي أعدّه وقدّم له واختتمه حازم صاغية، ومجموعة من الدراسات، حاولت

أن تغطي الصراع السنّي الشيعي في أكثر مناطقه وتجلياته سخونة: لبنان، سوريا، العراق، السعودية، البحرين، باكستان، والكتاب بعيد عن الجدل الفقهي والمذهبي للنزاع، ويهتم بالسياقات السياسية والاجتماعية والثقافية التي توفر بيئة النزاع والصراع المذهبي. ولذلك غلب على المشاركين تخصّصات العلوم الاجتماعية لا الشرعية، وحاولت المشاركات قراءة الأزمة في ضوء الدولة الوطنية الحديثة وما تفتحه من قضايا وأسئلة تتصل بالمواطنة والتعايش وقبول الآخر، وأيضاً بالحداثة والعلمانية.

تبدأ المساهمات بمقالةٍ للكاتب اللبناني أحمد بيضون وتحت عنوان « أشياع السنّة وأسنان الشيعة «، يرسم خلالها محور التقارب السني الشيعي الدرزي في لبنان بوصفه يمثل الجماعة الإسلامية في مواجهة المارونية السياسية المتحكمة بلبنان سابقاً، ويرصد كيف كان التشيع في لبنان عربياً صرفاً بعيداً عن التشيع الايراني الصفوي الذي غزا معاقل الطائفة وأحدث انقلاباً في روحها ومزاجها العام، وقضى على ماضي الاعتدال والتقارب، وحول العلاقة السنية الشيعية إلى طرفي صراع المذهبي المحتدم في لبنان والذي وصل غايته بعد غزو حزب الله الشيعي لمعقل السنّة في بيروت، محذّراً من أن تواجه السنّة والشيعة، إذا حدث، فلن يقف على حدود لبنان بل سيغطّي الإقليم كله، وسيتجاوز بكل تأكيد ما جرى في الحرب الأهلية.

أما حسام عيتاني، فيكتب وتحت عنوان « خطوط الفصل وخيوط الوصل « عن قضية العرب المركزية فلسطين التي باتت عنواناً للصراع السني الشيعي واحتكاراً لمفهوم المقاومة، فيتأمّل لوحة جدارية في بيروت تتوسطها قبة الصخرة في القدس وتعلوها عبارة تقول: « لا إله إلا الله محمد رسول الله فتحها عمر وحررها صلاح الدين..»، ولا يغيب عن أحد أن بن الخطاب وصلاح الدين شخصيتان بارزتان في الصراع السنّي الشيعي. الأول، هو من يحمّله الشيعة مسؤولية إبعاد الخلافة عن الإمام علي، لكنه أيضاً بطل الأمة الذي كسر إمبراطورية فارس، والثاني هو من قضى على الدولة الفاطمية الشيعية، لكنّه من هزم الصليبيين وأجلاهم عن القدس.. كلاهما بطل سنّي وكلاهما مكروه شيعياً. إنها إشارة سنّية إلى أن مواجهة الصهاينة وأعداء الأمة لن تكون إلا من التيار الغالب في الأمة، وهي أيضاً محاولة لتجريد إيران والشيعة من ورقة القدس.

أما السوري ياسين الحاج صالح فيكتب تحت عنوان « الطائفية والسياسة في سوريا « عن مسألة العلاقة بين الطائفة العلوية الحاكمة في سوريا، والأغلبية السنية البعيدة كل البعد عن الحس الطائفي « الكتاب منشور عام 2000 «، ويرجع صالح أصل الخلاف الطائفي في سوريا إلى خلاف طبقي بين العلوية المحرومة تاريخياً والتي صعدت إلى قمة السلطة ويتوقف أيضاً عند مفارقة أن السيطرة العلوية السياسية لم تؤثر على استمرارية الهيمنة السنّية اقتصادياً وثقافياً، مشيراً إلى أن النظام السوري متمركز حول السلطة لا حول مشاعر التضامن الطائفي التي لا تعدو كونها وسيلة مأمونة لصون السلطة. لكنه يؤكد رغم ذلك أن للطائفية موقعاً ممتازاً بين آليات إعادة إنتاج السلطة.

وتحت عنوان « الصعود الشيعي والتصادم الطائفي في السياسة والاجتماع العراقيين « يبحث عالم الاجتماع العراقي فالح عبد الجبار، في الواقع الطائفي الذي كرس في السياسة العراقية بعد سقوط صدام حسين، وعن المدّ الديني الذي اجتاح العراق، حتى أثناء حكم صدام، وتأثير ذلك على الطبقة الدينية الشيعية في العراق، التي كانت غالبية انتماءاتها يسارية تقدمية سابقاً، ويرصد مسارات التصادمات الطائفية في الخمس سنوات الأخيرة من عمر العراق.

الأكاديمي السعودي فؤاد إبراهيم، فيكتب تحت عنوان « السعودية: الحوار المسموم «، عن تغول المذهب الوهابي على السعودية واحة الأقليات المذهبية ففي المنطقة الشرقية اثنا عشرية ومالكية سنّية، وفي الجنوب إسماعيلية، وفي الغرب صوفية ومالكية وشافعية، فيما الوسط هو معقل الوهابية، ويرى الكاتب الصراع السني الشيعي هي انعكاس لفشل الدولة الحديثة في السعودية في رأب الصدع السني الشيعي بعد أن تحوّلت إلى جهاز لتسييل الخلافات التاريخية بدلاً من تجاوزها.

«البحرين في ظل النزاع الذي يحيطها «، هو العنوان الذي اختاره الباحث البحريني وأستاذ علم الاجتماع باقر النجار، لوصف البحرين جزيرةً تتنازعها أمواج الخمينية من الشرق والوهابية من الغرب، والعراق بحروبه الطائفية شمالاً وأثرها في التركيبة السكانية والسياسية البحرينية.

يختم حازم صاغية الكتاب بقوله: «إن النزاع السنّي الشيعي الذي عاش طويلاً ضامراً أو محوّراً، صار كأنّه عابر للأزمنة ومضامينها التقنية والثقافية، كجوهر للأشياء، تتقلّص حياله النزاعات الأخرى: لا يمين ولا يسار، ولا تطرّف ولا اعتدال، ولا موالاة للغرب ومعارضة له، فكلّ تلك التصانيف الحداثية وشبه الحداثية، الاستراتيجية الطابع وشبه الاستراتيجية، تنكمش لمصلحة الأصلي والخام الذي نرتدّ إليه في اللحظات الحاسمة: سنّة وشيعة».

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والإعلام

■إعداد المحامي فارس حسّان

تشكل وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها، مصدراً لتلقي المعلومات ونماذج من السلوك والقيم السائدة وتسهم وسائله في تشكيل ذهن الفرد وتطلعاته وأنماط سلوكه، سواء كانت تخصه كفرد، أو في علاقته مع الآخرين، فالمواد التي يقدمها الإعلام، تصبح ذات أثر فعلي حينما يتم الاقتداء بما تتضمنه من شخصيات وقيم ورموز، ومن ثم فإن وسائل الإعلام تشكل عاملاً مهماً ومساعداً على تربية المواطنة الصالحة أو عائقا للتربية على المواطنة في الوقت عينه.

ونظراً لانتشارها الواسع، وللتعامل اليومي والمباشر معها، ولسرعة أثرها المرئي، فإن وسائل الإعلام تملك أكبر الأثر على الأذهان والسلوكيات، مما يلزم استحضارها باعتبارها مصدراً رئيسياً لتكريس المواطنة.

من الناحية النظرية فإن للإعلام بأنماطه ووسائله المتعددة دور بالغ الأهمية في بناء الإنسان عبر تعزيز انتمائه الوطني وتثقيفه وتعريفه بحقوقه وواجباته في الميادين كافة، وكذلك في بناء المجتمع من خلال الارتقاء بالرؤى والتصورات التي تساعد الناس على أن يصبحوا قيمة مضافة في عملية التنمية وانصهار الجماعة الوطنية والالتفاف حول مشروع قومي للدولة. ويمثل الإعلام المنبر الجماهيري الأضخم للتعبير عن آراء المواطن وهمومه وعرض قضاياه وشكاواه، بل إن وسائل الإعلام الحديثة، في ضوء حرية تدفق المعلومات وعصر الفضاءات المفتوحة، باتت أبرز الأدوات لانتقال الثقافات وتبادل الخبرات بين مواطني مختلف الدول في شتى بقاع العالم. وعلى المستوى المحلي باتت وسائل الإعلام في بعض الدول تؤدي دوراً يفوق دور الأحزاب السياسية وجماعات المصالح.

وليس غريباً أن سُمّي الإعلام بالسلطة الرابعة نظراً لتأثيراته الكبيرة على ذكاء المتتبع ونفسيته عموماً من هنا تظهر قوته في التأثير في كنه العديد من المعادلات إن على المستوى الداخلي أو الخارجي، ولا يمكن للإعلام أن يضطلع بدور تكريس ثقافة السلم إلا بالإقلاع وتجنب أساليب الإثارة والطائفية والعنصرية وإثارة الأحقاد وتعويض كل هذا بتحمل المسؤولية المهنية، بما من شأنه أن يساهم مساهمة فعالة في دعم السلام الاجتماعي والدفاع عن الوحدة الوطنية واستقرار وتماسك وسلامة المجتمع علما أن الأمة الحية بإعلامها الجاد والمسؤول تخدم وحدتها من خلال إرادة التنوع.

ولن يتأتى للإعلام أن يضطلع بدوره الإيجابي المتمثل في تثمين مقومات التعايش والسلم المجتمعي إلا إذا حظي بالدعم اللازم وتفعيل القانون وخلق شروط الديمقراطية التي تصون حرية التعبير بمواصفات المسؤولية والتقدير، يشير «تيمونز روبيرتيس» و«ايمي هايت» في كتابهما من «الحداثة إلى العولمة» على أن ارتفاع المشاركة الإعلامية يعمل على رفع المشاركة في كل قطاعات النظام الاجتماعي، فتسريعها لانتشار التقمص الوجداني ينشر أيضاً المطالب الحديثة التي تستجيب لها مؤسسات المشاركة في اقتصاد المستهلك عبر الدفع النقدي والائتمان وفي المناقشة العامة عبر الرأي وفي الحكومة التمثيلية عبر التصويت تظهر المشاركة الإعلامية.

كما أن وسائل الإعلام وسيلة لتداول وجهات النظر المتعددة وإسماع الأصوات المختلفة، مما يتيح الممارسة الفعلية للمواطنة مثل المشاركة والنقد والانتخاب. فالمواطن الواعي بإمكانه المساهمة على نحو أفضل وبنشاط أكبر في عمليات صنع القرار في مجتمعه، وبإمكان وسائل الإعلام المستقلة والتعددية أن تعزز قدرات المواطنين باستمرار من خلال مواصلة تزويدهم بالمعلومات وتيسير تدفق المضامين التعليمية. فالتعليم عبر وسائل الإعلام وسيلة هامة لتنمية مهارات قيّمة ستسهم في وضع حد للعنف والقضاء على كافة أشكال التمييز مثل التمييز بين الجنسين والعنصرية. والأهم من ذلك، تُشجع وسائل الإعلام على اكتساب الحس المدني وتُيسر الحوار بشأن قضايا الساعة.

وفي مجال الإعلام الرقمي يركز بيتر دالغرين على ما يدعوه «بالأبعاد الستّة للتبادلية المشتركة» أي المعرفة والقيم والثقة والمساحة والممارسات والهويات التي تشكل مجتمعةً إطاراً سلساً وواضحاً لفهم الحقائق المتغيرة للشباب والمشاركة في إطار العادات الرقمية. ويدعو دالغرين إلى توسيع مفهومنا للثقافة المدنية في ضوء الاختراق الكثيف للإعلام الرقمي لجميع نواحي المجتمع، ويلتمس تحقيقًا في انعكاسات تكنولوجيات الإعلام الجديد على فهم المواطنين لمعنى المشاركة الفاعلة.

ولما كان مفهوم المواطنة مثار جدل بين الخبراء وصناع القرار ورجال الفكر والدين والمعنيين بموضوعات الهوية والولاء والانتماء، كانت وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها وتوجهاتها والداعمين لها حاضرة بقوة في جميع الموضوعات التي تعنى بالرأي العام، ومستثيرة للكثير من الآراء بين مؤيد ومعارض، ومستدعية لتسليط الضوء على جوانبها المختلفة.

ولما كانت الحملات الإعلامية من أهم الوسائل المستخدمة في توجيه الرأي العام نحو قضية معينة، والتأثير فيه بصورة سريعة وفاعلة، فإنه يمكن استخدام هذه الوسيلة بصورة إيجابية في تعزيز قيم المواطنة في المجتمع، أو يمكن في بعض الأحيان استخدامها بصورة سلبية لزعزعة هذه القيم، وتفتيت الهوية الوطنية.

وفي عالمنا العربي الذي تغيب فيه فكرة المواطنة قانونياً واجتماعياً، وجد الإعلام الجديد بكافة وسائله وشبكاته الاجتماعية مفهومًا حديثًا، بدأت تتشكل أفكاره هو مفهوم المواطنة بوصفها أحد أهم أعمدة الديمقراطية الغائبة في جل بلدان المنطقة العربية، والقضية الأساسية في أي مشروع نهضوي للشعوب الطامحة إلى النور.

فشبكات التواصل الاجتماعي تقوم بنشاط غير عادي مع كل حدثٍ محليٍّ بارز، من خلال الرسائل التفاعلية وإبداء الرأي والرأيِّ الآخر في أي قضية سياسية أو اجتماعية، بعيداً عن جميع قيود السياسة والمجتمع والدين، إلى آخر ذلك من الطروحات التي بدأ مجتمعنا الحديث يعتاد عليها، والتي تُشكّل في مجملها الثقافة الجديدة: ثقافة المواطنة.

ولا شك أنّ انضمام كثير من المثقفين، والمسؤولين، وأساتذة الجامعات، إلى الشبكات الاجتماعية، ساهم في توسيع هامش هذه الثقافة، والتربية على مفاهيم جديدة، على رأسها المواطنة، وحقوق الإنسان، والمجتمع المدني. وأصبح المستخدم العادي يستخدمها في خطابه الجديد من خلال الرسائل الكثيرة التي يرسلها عبر تلك الشبكات مطالبًا بحقوقه الغائبة.

يقول الفيلسوف توماس جيفرسون في هذا الصدد: «لا أعرف مستودعًا آمنًا للسلطات المطلقة للمجتمع غير الناس أنفسهم، وإذا كنا نظن أن الناس ليسوا مستنيرين بما يكفي لممارسة هذه السيطرة برجاحة عقل كاملة، فإن العلاج لا يكون بأن نسلب منهم هذه السيطرة، وإنما يكون العلاج بأن يتعلموا التعقل وحرية التصرف».

لقد جاء الإعلام الجديد وجاء معه كل شيء: مفهوم المواطنة، العدل والمساواة، صياغة الاقتراح، قيم الحرية والتضامن، الاحترام المتبادل، الكرامة المستحقة للإنسان. وفي ظل هذه الممارسات الجديدة، وحدها الشبكات الاجتماعية قادرة على التغيير..

رسالة فيسبوك لم تصل

■ خضر سلمان

خلصت الثورة وإجا الجهاد، سقط النظام وضلت الدبابة، لجان التنسيق ذات التنورة الباريسية المهفهفة، صار بدالا الهيئة الشرعية ذات العباية القصيرة كتنورة، الأفغانية المهفهفة أيضاً..

لا أحد أجاد أن يخترع تنورته يا حبيبتي..

* * *

في حدا احتل الساحات، بس مو أنا ولا أنتي.

في حدا وصل لساحة سعد اللّه بحلب والعباسيين بالشام، بس أنا وأنتي ما كنا هنيك.. ما كان فينا، لأنو كانوا عميتقاتلوا.

عمال المخابز والمقاصف والورشات والمدن الصناعية، ما عملوا نقابة وطالبوا بحقوقن ودافعوا عن مصالحن، بس كمان ما كان بإمكاني ولا بإمكانك أنو نلومن، كانوا عميموتوا لأنو.. وعملوا كتيبة وسمعوا من اللّه، ما ردوا علينا، اللّه عندو حل للموت كل يوم وكل لحظة، عندو حل للقتل والسحل والمجازر والتعذيب والاغتصاب، النساء ما ربطوا التحرر الاجتماعي بالتحرر السياسي، ما كان في ربّيطة يربطوا فيا، وكمان كانوا مشغولين بعجقة النزوح.. بتعرفي النزوح وعجقتو..

اللّه كبير يا رفيقتي، وعالي، ونحنا ناقصين ومترددين، النقابة بعدين.. أو يمكن بلاها، وتحرر المرأة آخر شي ممكن تفكر فيه أم نزل على بيتا برميل..

أصلاً كلن ماتوا، مين بدو يعمل النقابة؟

أنا؟ أنتي؟ نحنا كمان موتى.

شخصياً ميت، وأنتي ما بظنك أكثر حياة من السبونج بوب البلهاء اللي نسيتيا بكل مكان بالبيت، عمتخربط الزمن وتشوش المكان وتسحلني مع الذكريات كأني جيش حر وقع بين إيدين الجوية.. أنا الحر، وأنتي الحرية، وأنتي الجوية..

* * *

بدن مادة مني.. جنني المحرر وهوي يقلي هات مادة هات مادة..

بتتذكري لما قلتلك أنتي مادّةْ روحي؟

مو طلع الروح كذبة، وما في شي حقيقي إلا إذا شفناه، بما في ذلك الجراثيم والخلية وكل ما رآه العلم الوضعي في آخر قرن، كلو كذب إذا عيوني اللي بلا مجهر ما شافوه..

* * *

أنتي بعيدة بعيدة، أنتي بآخر العالم، أنتي عالضفة الأخرى، هلا بتكوني عمتمشي ع كورنيش طرطوس وتسهري على نفس البرندة وتنغمري بنفس هوا البحر، أنتي هلأ: بالماضي، عند النظام، وبداخلي.. يا اللّه شو بعيدة..

* * *

أمي كانت تحكيلي أنو النبي يونس غاب بتلات ظلمات، ظلمة الليل، وظلمة قاع البحر، وظلمة جوف الحوت.

شو جاب لجاب؟

ولا شي، بس حلوة سيرة الأنبيا..

كانوا متأكدين. الأنبيا كانوا بيعرفوا وراحوا قبل ما يقلولنا كيف عملوها..

كيف بإيد وحدة، بإصبع وحدة بيوقّفوا شاحنة الأقدار المتغطرسة، وبيحلوا المشاكل من أول الزمان لعند لحظة ملامسة الإصبع لشاسيه السيارة، وبيزبطوا كل شي وبيهدوا السعادة واليقين، بعدين بيرجعوا لورا خطوتين وبيتأكدوا من خلو الطريق من المارة، وبيأشروا بإيدن إشارة قوية للشوفير: هلا صار فيك تمشي..

* * *

"ادرزو، اللّه بيفرزو".. هاد مثل شائع اليوم، معناتو أنو اقتلو، ما في وقت نتأكد قديش بيستحق الموت، اللّه عندو الوقت..

* * *

بتتذكري لما قررنا أنو معلش تكون الثورة مسلحة وسلمية مع بعض؟

وبعدين قبلنا أنو الجيش الحر ما بس يحمي المظاهرات، كمان يقتل ضباط باغتيالات نوعية لا تؤذي المدنيين؟

وبعدين قبلنا أنو ما يكون الجيش الحر حكر عالمنشقين، معليش إذا كان الشب واعي ومنضبط وحابب يخدم الثورة بمهام خطيرة، معلش ينضم للجيش الحر؟

وبعدين قبلنا أنو الجيش الحر يعمل اللي بدو ياه لأنو هوي نواة الجيش الوطني، ونواة الجيش الوطني مدللة وبيحقلا تعمل اللي بدا ياه؟

وبعدين قبلنا الأسماء الإسلامية لأنو هيك.. السنة هني الطائفة الأم بالمنطقة ورافعة أساسية لأي تغيير؟

وبعدين قبلنا جبهة النصرة لأنو قوايا وفين يسقطولنا النظام؟

على ما أذكر، لما قبلنا آخر شي النصرة، كنتي عمتنشفي شعرك وأنا عمحاول القط نت من عند الجيران، وكان تيكيت طيارتي عالطاولة وتيكيت طيارتك ببالك.. بعدين ما عدنا قبلنا شي، بس كل شي استمر، وما كان شي واقف على موقفنا، ولا شي.

وها نحن الآن، أنتي بنوتة مرضية رجعت عبيت أمها بعد الجامعة، وناطرة عريس ليس أنا، وأنا واحد أهم معلومة عنو أنو قليل الاستحمام..

عمنحضر كلمة البغدادي بالتزامن..

وعمنتبادل الملاحظة عبر الشات، أنو تنقصه الكاريزما!..

ما علينا. أنتي كيفك..

عمل للفنان السوري بهرام حاجو

إن المرء لينعم ويهنأ حين يدير ظهره لما أمامه من عراك وصراع، ويلتفت لما خلفه من حميم ووداد
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

داريا الخالية من الغرباء

الوجه الحقيقي للثورة

■ زليخة سالم

داريا العزة والصمود الأسطوري، داريا اليتيمة أو الوحيدة بين المدن المحررة أو ما تسمى بالمحررة، التي بقيت شامخة ثائرة رغم الاستهداف والدمار اليومي الذي يلحقه بها النظام، وبقيت عصية على محاولات اقتحامه وتقدمه، وكسرت عنجهية طائراته وبراميله المتفجرة، لأنها لم تسمح للغرباء بالدخول إليها، ولم تقبل بالمساعدات المشروطة من أي جهة كانت.

وحدها داريا التي حافظت على الثورة نقية داخلها، بنقاء شبابها وثوارها، وأصبحت مثالا يُحتذى للتنظيم والإدارة، والتنسيق بين العمل المدني والعسكري، والإصرار على النصر، ومواجهة كافة أشكال القصف الممنهج والهمجي الوحشي والحصار المطبق بالعمل على ما بعد سقوط النظام، رغم أن موقعها الإستراتيجي قرب مدينة دمشق، والمحاطة بالمواقع الأمنية، وبمطار المزة العسكري، يجعلها عرضة أكثر من غيرها من المدن للقصف العنيف والمركز، ومحاولات الاقتحام المتكررة.

منذ دخول الجيش الحر إلى داريا وتحريرها، بدأ التفكير فيها جلياً بإنشاء إدارة مدنية تدير شؤون المدينة من قبل ثوارها، إلى أن ارتكبت المجزرة المروعة فيها بتاريخ 17 / 10 / 2012 والتي راح ضحيتها أكثر من 700 شهيد غالبيتهم من الأطفال، حيث تأسس بعدها بأسابيع قليلة المجلس المحلي لمدينة داريا بهدف توحيد وتنظيم وتطوير مختلف الجهود الثورية في إطار الثورة السورية، وتمثيل مدينة داريا لدى الجهات الأخرى داخل سورية وخارجها، والإسهام في التأسيس لسوريا الجديدة وضمان الاستقرار والسلم الأهلي بعد سقوط النظام.

وتعمل كتائب الجيش الحر والكتائب المساندة التي دخلت لحماية المدينة تحت قيادة عسكرية مركزية وبالتنسيق الكامل مع المجلس المحلي وتخضع لسلطته الإدارية، ولم تسمح بدخول الغرباء أو المتشددين من أصحاب الرايات السوداء والأجندات والأهداف المختلفة عن أهداف الثورة ما ساهم في بقاء الثوار صفاً واحداً تحت راية واحدة / علم الثورة /، وجنّبها الخيانة والمتاجرة التي ارتكبت في بعض المناطق من قبل الكتائب الدخيلة والمتشددة وخاصة «جبهة النصرة «التي بدأت بدخولها إلى الغوطة الشرقية تسليم بعض المناطق للنظام تحت مسميات الهدن وغيرها، وحصار الأهالي وارتفاع الأسعار بشكل غير مسبوق، وليس آخرها تسليم أكبر مصفاة للنفط في دير الزور لداعش دون أي اشتباكات

نشرت جريدة عنب بلدي أرقام تقريبية لنسب الدمار التي خلفتها الآلة العسكرية الأسدية في البنى التحتية والأبنية السكنية حتى الآن وفق دراسة للمجلس المحلي لمدينة داريا فكانت كالتالي: مبان سكنية أبنية سكنية، بيوت، فيلات 70 بالمئة، مبان تجارية شركات، مصانع، محال تجارية 80 بالمئة، شبكة الصرف الصحي الرئيسية وملحقاتها 60 بالمئة، شبكة المياه الشبكة الرئيسية وملحقاتها 70 بالمئة، شبكة الكهرباء الشبكة الرئيسية وملحقاتها 80 بالمئة، المراكز الطبية مشفى، مستوصف،عيادة 90 بالمئة، مراكز تعليمية مدارس، معاهد، رياض أطفال 80 بالمئة، دور العبادة مساجد، كنائس نسبة الدمار 80 بالمئة، مبان خدمية بلدية، محكمة، مالية، مصرف 90 بالمئة، وسائل المواصلات، شوارع رئيسية وفرعية 60 بالمئة، وسائل الاتصالات هاتف، موبايل، انترنت، بريد 90 بالمئة.

ورغم هذه النسب المفزعة والخسائر الكارثية والقصف والدمار إلا أن المجلس المحلي للمدينة يعمل على مرحلة ما بعد النظام، من خلال وضع رؤية واضحة لشتى المجالات المتعلقة بالتأهيل وإعادة الإعمار، ويدعو الخبراء والمؤهلين وذوي الرؤى والأفكار، للمساهمة في وضع خطط متعددة ومحددة الأهداف ومؤطرة زمنياً ومكانياً، تلبي المتطلبات الطارئة في المدى القريب، وتضع الخطط الإستراتيجية لعملية الإعمار والتأهيل المتكامل على المستوى المناطقي آخذة بالإعتبار العمل على المستوى الوطني.

ومن تحت الدمار والحصار المطبق يعمل المجلس المحلي نشاطات رائعة لتسليط الضوء على المعاناة الإنسانية الكبيرة والهائلة لمن تبقى من سكان المدينة في ظل الحصار والحرب المستمرة عليهم، والنقص في مقومات الحياة الأساسية، مثل حملة « حكاية أمل « أغيثوا داريا المحاصرة، وحملة داريا، حكاية صمود حتى النصر، « وحملة آن للقيد أن ينكسر « لتسليط الضوء على الواقع المرير الذي يعيشه المعتقلون في سجون نظام الأسد ولمطالبة المنظمات الدولية والضغط عليها من خلال الوقفات الاحتجاجية للعمل على الإفراج عن المعتقلين، ومعرفة مصير المفقودين منهم، إضافة إلى حملات التنظيف لإزالة آثار الدمار من الشوارع.

تجربة إدارة المدن المحررة في داريا كانت استثنائية ووجيدة، ونقطة مضيئة في مسيرة الثورة، لأن أبنائها الأبطال بحق عملوا بصمت وجد، ودفعوا أثماناً باهظة من حياتهم وممتلكاتهم، والحملة الهمجية التي يشنها النظام على داريا بشراً وحجر لم تثنهم عن عزمهم في الاستمرار بالثورة، والحلم والأمل رغم حجم المعاناة الكبير، لأن المجلس المحلي والكتائب الموجودة بالداخل عملت بإخلاص وتعاون وتنسيق، ورفضت أي تدخل أو معونات مشروطة، أو دخول المتشددين والغرباء كما حصل

في باقي المناطق، ولم تسمح بظهور العصابات والمرتزقة، وتجار الدماء والعوايئية الذين انتشروا داخل صفوف الجيش الحر كانتشار النار في الهشيم، وكانت أمينة على توزيع الإعانات القليلة التي تصل للمدينة، وشكلت أجهزة حمايةٍ للمواطنين والممتلكات، واتبعت سلوكاً إنسانياً وحضارياً مع الأسرى والجرحى من قوات النظام، وعلى الرغم من التشبيح المقصود في المناطق المحيطة المحيطة بداريا، إلا أن الكتائب لم توجه ولو ضربة أو قذيفة واحدة للانتقام من المدنيين في هذه المناطق، كما حصل في مناطق أخرى وهي كثيرة، ما يعكس صدق أبناء داريا مع أنفسهم ومع أهداف الثورة، ومتطلباتها.

ولا زال لدينا حلم أن تتشكل قيادة للثورة مدنية وعسكرية من الداخل تكون نواتها ثوار داريا وحمص القديمة ومن الشرفاء من جميع المناطق الثائرة، لإخراج أصحاب الرايات السود المدعومين من الاحتلال الإيراني، والدول الخليجية،والقوى الغربية أولاً من وطننا، وإسقاط ما تبقى من النظام وفلوله.

داريا الحلم والأمل، قدمت صورة مثالية رائعة وعملية، لشكل الثورة التي خرج السوريون من أجلها إلى الشارع، هي صورة مضيئة في لوحة قاتمة، ولا بد أن ينتشر ضوءها إلى باقي المناطق وخاصة التي اتشحت بالسواد من رايات ووجوه وعقول غزاتها من داعش والنصرة وأخواتها.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (99843)

دمشق: 6807
ريف دمشق: 22877
حمص: 13324
درعا: 8986
إدلب: 10791
حلب: 19746
دير الزور: 5991
الرقة: 1178
السويداء: 76
حماة: 6602
اللاذقية: 983
طرطوس: 357
الحسكة: 690
القنيطرة: 742

8007 عدد الأطفال الذكور
3662 عدد الأطفال الإناث
7330 عدد الإناث
27708 عدد العسكريين
72128 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 5 / 7 / 2014
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر